جامعــة الدكتور مولاي الطاهر - سعيدة -
كلية الآداب و اللغات و الفنون
قسم اللغة العربية و آدابها

مذكرة تخرج لنيل شهادة الماستر في اللغة و الأدب العربي

تخصص : دراسات نحوية دلالية

بعنوان :

الإتساع من التركيب إلى التصوير

إعداد الطالبة :
شراوي فاطيمة

إشراف الدكتور :
هاشمي الطاهر

لجنة المناقشة

أ.د. ..... رئيسا
أ.د.هاشمي الطاهر مشرفا و مقررا
أ.د..... ممتحنا

السنة الجامعية : 1437/1436 الموافق لـ 2016/2015

جامعــة الدكتور مولاي الطاهر - سعيدة -
كلية الآداب و اللغات و الفنون
قسم اللغة العربية و آدابها

مذكرة تخرج لنيل شهادة الماستر في اللغة و الأدب العربي

تخصص : دراسات نحوية دلالية

بعنوان :

الإتساع من التركيب إلى التصوير

إعداد الطالبة : **إشراف الدكتور :**

شراوي فاطيمة **هاشمي الطاهــر**

لجنة المناقشة

أ.د.	**رئيســا**
أ.د.هاشمـــــــي الطاهـــر	**مشرفا و مقررا**
أ.د.....	**ممتحنا**

لسنة الجامعية : 1437/1436 الموافق لـ 2016/2015

بسم الله الرحمن الرحيم

يا من تلعب في الكلام توسعا

فكلام ربك لفظه إعجاز

أوجز إذا أنشدت أو خلب الهوى

إن البلاغة سرها الإيجـاز

لا تحملن على الحقيقة دائما

فمن الكلام توسع و مجاز

عادل العبيدي

شكر و عرفان

الحمد لله رب العالمين و الصلاة و السلام على خير المرسلين و على آله الطيبين و المرسلين ، و بعد:

يطيب لي - و قبل كل شيء- أن أشكر الله العلي العظيم فلا خير إلا منه و لا فضل إلا له الذي وفقني لإتمام هذا العمل و أن هيأ أستاذ من أساتيذ العربية يشرف على رسالتي ، فألفيته شجرة جذورها بيان و بديع ، و ساقها أدب رفيع ، و أغصانها عقل ، و شرف منيع ، واصلته فأفاض عليّ من ذره المصون بفكره العميق ، و رأيه السديد ، و جاهد معي بلسانه الزكيّ الأستاذ الدكتور هاشمي الطاهر ، الذي تقدم عليّ من فضله ما أعتز به و أعجز عن شكره فله من تلميذته خالص الشكر ، و عظيم التقدير ، و امتناني للأساتذة الدكتور رويسات محمد صاحب فكرة موضوع البحث ، و الأستاذ الدكتور شعيب بحيى و الأستاذ الدكتور طيبي أحمد ، و كل أستذة قسم اللغة العربية فأسأل الله أن يجزيهم عني و عن طلبة العلم خير الجزاء و أمّا أولئك الذين لا يسع المجال لذكرهم فشكري إليهم ما حييت .

شراوي فاطيمة

الإهداء

إلى من كانت دعواتهما صدى في أذني و نبراسا في حياتي

إلى أمي و أبي حفظهما الله .

إلى من كانت نظراتهم إليّ فرحتي و حبي لهما حياتي إخوتي .

إلى صديقة العمر التي أبعدتني عنها مشاغل الحياة سنوسي فتيحة .

إلى أحبتي بلا استثناء ... مادامت الحياة صفحات

دربها الإخلاص و الوفاء و الحب ...

إلى الأخ الذي تحمل عناء كتابة المذكرة و إخراجها في أحلى حلة دلاس

إبراهيم.

فاطيمة...

مقدمة

يمثل التراث العربي بما يحمله من عطاء ثري في مختلف أوجه المعرفة العمق الحقيقي للثقافة العربية إنه أفضى بما قدم من قيم التفتح على من حوله ، صبغة المترع الإنساني ، كما مكنه ذلك من الإفادة في جميع الثقافات فجاءت الثقافة العربية الإسلامية كلا انصهرت فيه العناصر الايجابية الذاتية و الوافدة ، الأمر الذي جعل منه رافدا يتجدد بتجدد الأجيال ، قد يعرف أحيانا نوعا من الاستكانة ، غير أنه لا يلبث أن يعيد سيرته الأولى ، و في الحالتين ظل نبعا يغترف منه يغترف منه كل الناس ، مقدما أفضل الإجابات عندما يواجه بأدق الأسئلة .

لقد كان المن الضروري أن نعبر هذا المسلك وصولا إلى القول أن ظاهرة الاتساع قد شكلت موطنا حساسا في ذلك التراث بل أكثر من ذلك فالتوسع جعل العربية قادرة على التعبير عن المعاني الثانوية بأسلوب متميز قد لا يعرف غيرها من اللغات كيف يعبر عنها ، مما جعله سببا من أسباب نبوغ العربية و سر عبقريتها ، فهو نظام موازي لنظام العربية لا يمكن أن نختصره في جانب دون سواه بل هو متفشي في كل علوم العربية من صوت و صرف و نحو و بلاغة و هنا تمكن صعوبة هذا الموضوع فهو في اللغة أوسع من أن يحاط به غير أني حاولت طرق هذا الباب بشكل من الإيجاز و الاختصار مقتصرة في ذلك على مستويين اثنين هما المستوى النحوي و المستوى البلاغي مثلهما عنوان المذكرة الاتساع من التركيب إلى التصوير ، و كان وراء اختيار الموضوع أسباب منها رغبتي في الربط بين علم النحو و علم البلاغة باعتبارهما أكثر المستويات تجليا لظاهرة الاتساع هذا من جهة و من جهة أخرى خلو مكتبتنا من دراسات تجمع بين النحو والبلاغة ، فجّل الطلبة يميلون إلى الدراسات الأدبية و الشعرية ، غير أنه ما حفزني أكثر هو تشجيعات الأساتذة للخوض في هذا الباب الصعب ، و قد كانت إشكالية البحث حول كيفية معالجة العرب القدامى لظاهرة الاتساع و الكشف عن المزايا التي يحدثها هذا الفن الراقي لاستمرار العربية و صمودها أمام

التحديات التي تعترضها و للإجابة عن هذه الإشكالية قسمنا البحث إلى مدخل و ثلاثة فصول و خاتمة تحدثت في المدخل عن ظاهرة الاتساع و مفهومها عند العرب القدامى و عن مواطن التوسع و المسوغات الموجبة و موانع التوسع ،و عالج الفصل الأول مفهوم الاتساع عند اللغويين و البلاغيين ، و البحث عن مواطن الاتساع من خلال المشترك اللفظي و الترادف و النظم إلى غير ذلك من أنماط التوسع ، أما الفصل الثاني فقد درسنا فيه الدرس النحوي عند أئمة النحو سيبويه و ابن السراج ، و خاصة بما يتعلق بموضوع الحذف أما الفصل الثالث فقد عالج صور الاتساع من خلال فكرة النظم عند علماء البلاغة عبد القاهر الجرجاني في دلائل الإعجاز و شيخ المعتزلة جار الله الزمخشري من خلال تفسيره الكشاف و أنهيت الموضوع بخاتمة ذكرت فيها أهم النتائج المتوصل إليها و التي آمل أن تكون مفيدة في طريق البحث ثم أتبعت المصادر و المراجع .

و اعتمدت الدراسة على المنهج الوصفي التحليلي لملائمة المادة المبحوث فيها و هو ينهل من النحو و علم البلاغة ، و يأخذ بالتفسير و التحليل مستندين في ذلك على جملة من المصادر و المراجع أهمها : التوسع في كتاب سيبويه لعادل العبيدي ، و دلائل الإعجاز لعبد القاهر الجرجاني و كتاب الأصول في النحو لأبي بكر بن السراج و الكتاب لسيبويه أما المراجع الأخرى فقد تنوعت بين المعاجم و الكتب البلاغية و اللغوية إضافة إلى رسائل ماجستير التي أفاد البحث منها أبرزها الاتساع و أثره في المعجم العربي ،الجزء الأول و الجزء الثاني للباحث علاء صاحب حمادي و التوسع في المعنى في تفسير أبي السعود للباحثة سوسن خلدون أما عن الصعوبات التي واجهتني في انجاز هذا البحث فكثيرة ، أذكر منها قلة المراجع التي تناولت ظاهرة الاتساع مع صعوبة هذا الموضوع في حد ذاته و شساعته و خاصة التداخل بين العلوم مثل علم المعاني و علم النحو و صعوبة التمييز و الفصل بينهما فهذا النوع من البحث أي – الاتساع – يتطلب أن يكون الباحث ملما بعلوم العربية عارفا

بقوانينها و قواعدها و ليس من اليسير لطالب مبتدئ أن ينال من هذا البحث ... و إنما تبقى دراستنا مجرد لمحة بسيطة و قطرة من بحر عميق .

هذا هو جهدي و ما استطعت إليه سبيل ، و استغفر الله تعالى على ما وقع فيه البحث من هفوات و سقطات و قل يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله إن الله يغفر الذنوب جميعا إنه هو الغفور الرحيم "

و آخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

الباحثة

مدخـــــــل

ظاهرة الاتساع في العربية

مسوغات الاتســـــــاع

موانـــــــع التوســـــــع

العربية أداة العلم ، و مفتاح تفقها في الدين ، و سبب إصلاح المعاش والمعاد، كيف لا و قد شرفها الله بأن جعلها الله لغة التنزيل و سخر لها«أقلام الكتبة و أتعب أنامل الحسبة فرفع مقامها و كرمها و أوحى بها إلى خير خلقة و جعلها لسان أمينه (جبريل عليه السلام) على وحيه و أسلوب خلفائه في أرضه ، و أراد بقائها و دوامها حتى تكون في هذه العاجلة لخير عباده ، و في تلك الآجلة لساكن دار ثوابه ،فقيض لها خواص من الناس نسوا في خدمتها الشهوات و جابوا الفلوات و نادموا لاقتنائها الدفاتر ،و سامروا القماطر والمحابر وكدوا في حصر لغاتها طباعهم ، و أسهروا في تقييد شواردها أجفانهم ،و أجالوا في نظم قلائدها أفكارهم و أنفقوا على تخليد كتبها أعمارهم ، فعظمت الفائدة و عمت المصلحة وتوافرت العائدة » [1] ، فها هو أحد الشعراء يتغني بجال العربية و سحرها :

إن الذي ملأ اللغات محاسنا جعل الجمال و سره في الضاد [2]

فهي لإحراز الفضائل و احتواء المروءة لقول عمر بن الخطاب عنها :

تعلموا العربية فإنها تزيد في المروءة[3]

فالعربية لم تأسر قلوب أصحابها فحسب بل تعدى سحرها إلى أعدائها حتى وصفها أحدهم بأنها مثل فينوس ولدت كاملة الجمال و احتفظت بجمالها وكمالها مع تعاقب الأزمان و تطاول الخطوب ، و قد مرت بأزمان طويلة كانت في عصور بهائها ممتلئة حيوية و واصلت

(1)- فقه اللغة و اسرار العربية ، إسماعيل الثعالبي ، تعليق ياسين يعقوبي ، المكتبة العصرية ، بيروت ، ط2، 2000 ، ص29، 30.

(2)- ينظر : كيف تكون فصيحا ؟ السايح عبد الحميد ، تح: ياسر ابراهيمي ، دار الايمان ، ط1 ، 1999 ، ص18.

(3)- المرجع نفسه ، ص10.

طريقها في ضعف فترة و لكن حيويتها كانت كامنة فيها و حينما نهضت من ضعفها عادت -كما كانت- كاشفة عن فتوتها و سحرها واعدة بمستقبل مشرف [1] .

و في هذا السياق يقول (**يوهاك فيك**) ، معبرا عن قوة اللغة العربية في مواجهة التحديات:" **لقد برهن جبروت التراث العربي الخالد على أنه أقوى من كل محاولة يقصد بها إلى زحزحة العربية بهذا المقام العتيد من حيث هي لغة المدنية الإسلامية**"[2].

غير أن العوامل التاريخية المرتبطة بالعروبة و بأدبها و بالإسلام و تراثه و التي أسهمت بأوفى نصيب في استمرارها حتى اليوم لا تكفي وحدها ، فثمة عامل ذاتي في بنية العربية نفسها ساعدها على تلك الاستمرارية و البقاء ألا و هو الاتساع ، فهذا الأخير كان له أثر واضح في تطويع اللغة و جعلها قادرة على استيعاب أي مستجدات تستجد فيها بعد إخضاعها لقوانين و قواعد اللغة ، و لعل هذا ما دفع ابن الجني لتخصيص باب كامل في كتابه الخصائص سماه (**شجاعة العربية**) وصفها بهذا المصطلح (**الشجاعة**) لأنها قادرة على الصمود أمام الكثير من الظواهر التي تعتريها من " حذف ، و زيادة و تقديم و تأخير و حمل على المعنى "[3] .

فالتوسع بهذا المعنى الذي ذكره ابن الجني ضرب من التصرف و هو أسلوب متميز من أساليب الكلام العربي و نمط من أنماط التعبير ، وظاهرة راقية من ظواهر العربية ، يرتادها الشاعر و الناثر على حد سواء .

---

(1)-القياس في اللغة العربية ، حسن عبد العزيز ، دار الفكر العربي ، القاهرة ، ط1، 1995، ص09.

(2)- نقلا عن القياس في اللغة العربية ص 9

(3)- الخصائص ، ابن الجني ، ج 2 ، تحقيق : علي النجار ، مكتبة العلمية د ط ، د ت ، ص 360

وقد تناوله القدماء في مؤلفاتهم مما يدل على شهرته حتى وإن كان بمسميات مختلفة،وبالتالي فالاتساع أو التوسع ليس وليد اليوم ولا من مستجدات العصر وإنما هو موغل في عمق التراث العربي القديم غير أن الباحث عن مفهوم لهذه الظاهرة لا يجد له مفهوما واضحا ، فقد بقي عائما على الرغم وجود إشارات مبثوثة له في بطون الكتب فيصرحون أحيانا أن في هذا الكلام توسعا و يلمحون في بعض الاحايين على أنهم يصرحون مرارا أن مثل هذا التصرف في الكلام وهذا التوسع فيه هو " في اللغة أوسع من أن يحاط به " [1] .

و مع ذلك لم يجد الباحث ما يبل ريقه و يشفي غليله على طول مكابدته الاستقراء و التنقيب في بطون الكتب ، و يعزى ذلك إلى عدم استقرار هذا المصطلح عندهم من جهة(و قلة من عقد له باب منن النحاة) [2] من جهة أخرى .

و لما كانت اللغة العربية لغة المجاز فالتوسع إذا ضرب من ضروب المجاز ، و لون من ألوان التصرف في التعبير و جنس من أجناس الشجاعة (**و في ركوب هذا الأسلوب من أساليب التعبير تتجلى شجاعة العربي و جرأته و إقدامه على اقتحـــام أبوان القـــول و تشقيقه ،و من ثم التلاعب بالألفاظ تقديما و تأخيرا و حذفا و تقديرا و إيجـــــازا و اختصارا و مثلها الزيادة و الحمل على المعنى و التحريف و تلك هي أجناس الشجاعة المجازية التي ذكرها ابن جني (ت 392هـ) و كان مما ذكره أيضا تحت باب عقده في الخصائص ليفرق به بين الحقيقة و المجاز ، أن المجاز يعدل إليه لمعان و على رأسها الاتساع فبعد أن عرف الحقيقة بأنها " ما أقر في الاستعمال على أصل وضعه في اللغة "[3] ، ذكر أن المجاز : " ما كان بضد ذلك ")** [4] .

---

(1)- الأصول في النحو ، ابن السراج ، ج2، تح : عبد الحسين الفتلي ، مؤسسة الرسالة ، ط3، 211.

(2)- الأشباه و النظائر في النحو ، جلال الدين السيوطي ، ج12، دار الكتب العلمية ، لبنان ، ص35.

(3)- الخصائص ، ج2، ص442

(4)- التوسع في كتاب سيبويه ،عادل هادي حمادي العبيد ، مكتبة الثقافة الدينية ، القاهرة ، دط، 2004.ص09

ثم قال : " **وإنما يقع المجاز ويعدل إليه عن الحقيقة لمعان ثلاثة وهي: الاتساع ، التوكيد ، و التشبيه ، فإن عدم هذه الأوصاف كانت الحقيقة البتة** "[1] .

و مما لا شك فيه أن العرب كانت تدرك مدى تأثير هذه الأساليب عندما تخرج إلى معاني أخرى ، و مدى وقوعها موقع الإعجاب في قلوب السامعين و أذان المتلقين .

" و في التوسع في التعبير تخرج الكلمة أحيانا إلى غير ما وضعت له في أصل اللغة إلى شيء أخر توسعا في القول و مجازا في التعبير نحو قول الشاعر :

شكوت إليها حبها المتغلغل فما زادها شكواي إلا تدللا

قال بن الجني و يوجه هذا البيت :(إن وصف الحب بالمتغلغل ليس في أصل اللغة وإنما في ذلك وصف يخص الجواهر لا الأحداث ، ألا ترى أن المتغلغل في الشيء لابد أن يتجاوز مكانا إلى أخر،وذلك تفريغ مكان وشغل مكان ...هذا وجه الاتساع)[2] "[3].

فهذا الضرب من التوسع واقع في كلام العرب كثيرا و يشمل جميع مستويات اللغة صرفها ، و نحوها و بلاغتها ، و عروضها ،و أصواتها اللغوية ، و ذلك لمرونة العربية و سعة أفقها و علوها و كثرة توليدها ، فالتوسع في الكلام له جولان و دوران على ألسنته ،و في مراسلاتهم و مخاطباتهم و أشعارهم و حكمهم و تعده العرب مفخرة من مفاخرها ذلك لأن هذا اللون من المجاز هو الذي يكسر اللفظ سربالا من الحسن و يثري اللغة و يزيدها تجـددا و تطورا و نماءً [4] .

---

(1)- الخصائص ، ج2، ص444

(2)- المصدر نفسه ص444

(3)- التوسع في كتاب سيبويه ، عادل العبيدي ، ص10.

(4)- ينظر: التوسع في كتاب سيبوية ، عادل العبيدي ، ص10

و من صور توسع العرب أيضا استعمال الكلمة الواحدة في أكثر من معنى إيجـــــازا أو اختصارا حيث جعل العرب اللفظة الواحدة لمسميات عدة ، إما بطريق الاشتراك كاستعمال (العين) في ثلاثين مسمى منها خيار كل شيء و الجاسوس و الدينار و الميزان و عين الإنسان و عين الماء و عين الركية و مطر يقيم أياما لا يقلع ، و سحابة تنشأ من قبل العين أي الكعبة ، و قد ألف في معاني العين ابن خالويه رسالته (**شكاة العين**) [1].

و إما بطريق التضاد كاستعمال كلمة وراء بمعنى خلف و بمعنى قـــــــدام قال تعالى : "وَكَانَ وَرَاءَهُم مَّلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْبًا" سورة الكهف الآية 79 أي قدامه .

«و من التوسع استعمال العرب عشرات الكلمات بل مئاتها في معنى أو مسمى واحد عن طريق الترادف ، لأن الحاجة قد تدعوا إلى تأكيد المعنى ، و التحريض و التقرير فلو كرر اللفظ لسمج و مج ، و قد قيل : إذا تكرر الشيء تكرج ، و الطباع مجبولة على عادات المعادات ، فخالفوا بين الألفاظ ،و المعنى واحد.

و من ذلك استعمالهم : الغمر و الغل و الحسيكة و الحسيفة و الحزازة و الاحنة والحِنة و الدمنة في الحقد قال الشاعر :

"إذا كان ولد الرجال حزازة فأنت الحلال الحلو والبـــارد العذب

و تأخذه عند المكارم هزة كما اهتز تحت البارح الفنن الرطب"»[2].

إلى غير ذلك مما لا يخفى على أحد .

---

(1)- رفع الحرج من حلل توسع العرب، عبد الرحمن إسماعيل ، محاضرات الموسم الثقافي ، لكلية اللغة العربية ، موقع شيخة المري ، العدد 1، 1402-1403 هـ ص06.

(2)- المرجع نفسه ، ص07.

هذا و قد ثبت بطريق إحصاء في كتب اللغة أن ابن خلوي أحصى لبيت المقدس سبعة عشر اسما ، و للجراد ستين ، و للحية مائتين و للأسد خمسمائة اسم [1].

و أيضا التوسع في المصدر في عدده و صيغه و استعمالاته ، لما لا يمكن وضعه تحت قاعدة أو معيار معلوم ، فقد استعملت العـــــرب للفعـــــل (**مكث**) سبعة مصـــــادر هي : مكْث، و مكوث ، و مكثان ، و مكيثى ، و مكيثاء و مكثة ، و للفعل (**لقى**) عشرة مصادر هي لقاء و لقاءة و لقًى و لقيانه و لُقي و لقيٍ و لقية و لقيان و لقاية [2].

و قد يكون توسع العرب بالمصدر اشارة للمعاني التي يحتملها الفعل أو الصيغ التي يجيء عليها نحو قولهم في مصدر " (رأي) مثل رؤية و رؤيا و الرأي ، فالأول منها يشير إلى رأي البصرية و الثاني يشير إلى رأي الحلبية و الثالث يشير إلى رأي القلبية "[3].

و توسعت العرب في المفرد و المثنى و الجمع فاستعملت كلا منها فيما يدل عليه حقيقة و هذا لا يعد غريبا لضبطه و ألفه و فهمه إنما الغريب الذي لا يمكن ضبطه أن نستعمل واحدا منها بدل الأخر أو مكانه لكونه يسبب لبسا في الكلام أو إسهاما ، و إنما يفهم المراد منه إما بعود الضمير أو الإشارة أو الصفو أو قرينة الحال أو سياقات الكلام وليس كل الناس يدرك ذلك أو يعي وعيا تاما [4].

هذه بعض مظاهر التوسع الاستعمالي في العربية و هي أخطر من التوسع الإعرابي حيث يمكن للكثير من الناس من أن يقوموا ألسنتهم بمراعاة القواعد الضابطة لأواخر الكلمات و بيانات الصيغ و ليس في إمكان كل فرد استعمال الجمع بدل المفرد أو العكس عجزا أو خجلا .

---

(1)- المرجع السابق ص07.

(2)- المرجع نفسه ، ص08

(3)- رفع الحرج من جلل توسع العرب ، ص09

(4)- المرجع نفسه ، ص09

و هناك توسعات في الاستعمال أكبر من أختها من خلال الذكر أو الحـــــــذف و التقديم و التأخير ، و الهمز أو التليين و التشبيه أو التضمين و القلـــــب أو التغليـــب و التذكير أو التأنيث و القصر أو المد ، و الزيادة أو النقصان و التأسيس أو التأكيد والإعلال أو الإبدال أو الإدغام ، ثم اللهجات و عود الضمير مطابقا مرة و غير مطابق أخرى ، و على مذكور طورا و على مفهوم أخر إلى غير ذلك من ألوان التوسع الاستعمالي عند العرب الذي لا تحده حدود ولا تنهض به قواعد أو ضوابط،لأنه أسبق منها وأجل [1].

فهذا التوسع العربي الذي افتتنت فيه العرب بالسليقة الحرة التي لـــم تعرف قيـــودا أو ضوابط،وإنما يقودها إليه الحس المرهف «و الذوق والمران الدائب و السماع الدائم الذي هو أبو الملكات اللسانية مثلما نلمـس ذلك في أدبائنا المفطورين المطبوعين في حياتنا المعاصرة » [2].

كان ذلك التوسع العربي بفنونه المختلفة ، أحد الأسباب الرئيسية في خصومات النحاة ، إذ لولاه ما اختصوا ، و في القوت نفسه كان مجالا خصبا لعطائهم و ظهور عبقريتهم ، فبه نما فكرهم اللغوي الذي صارت نتيجته تقعيدهم القواعد التي تسد عندنا اليوم مسد السليقة العربية الأولى ، تشدنا إليها و تربطنا به ، و لولا اختلافات النحاة و تعليلاتهم و تحليلاتهم ما برزت العربية في زينتها المقدرة لها و لا غابت عـــن الألبـــــاب لطافتهـــا وطرافتهـــا وما سبقت أخواتها و عاداتها بل ربما كانت قد تهاوت من عليائهـــا إغفـــــالا أو إهمالا ، و تحطمت من وخذات اللحن و العجمى أزكانها ، و باتت تهوي إلى الحضيض حاسرة خاصرة ، و لم يكن في مقدور إنسان أي إنسان أن يستوعب أو يحيط بأسرار البيان العربي و ألوان جماله [3].

---

(1)- المرجع السابق ، ص12.

(2)- نفسه ، ص12.

(3)- نفسه ،ص12.

و ما يجدر الإشارة إليه هو أن الاتساع يحتكم إلى مسوغات أو علل موجبة إليه وهي كثيرة ، كثرة وروده – أي الاتساع – في اللغة ، كما أن هذه المسوغات تختلف باختلاف الأغراض و المعاني التي تخرج إليها ، و مدى علاقة هذه الأغراض و المعاني بكلام المتكلم و قوة تأثيره في المخاطَب ، " فالعربي إذا علت فصاحته،وسمت طبيعته تصرف وارتجل، فينقاد له الكلام البليغ و التعبير الدقيق ، و أداته في كل ذلك (اللغة) يتصرف بألفاظها و يتلاعب بمعانيها ، فيلبسها بهذا التصرف والتلاعب ثوبا قشيبا موشي بوشي (التوسع) في التعبير"[1] ولهذا الضرب من ضروب الكلام علل وأسباب ؛ عبرنا عنها بالمسوغات و هي كثيرة –كما أسلفنا – و لكن سنقف على أهمها و أبرزها و أكثرها شيوعا :

الإيجاز و الاختصار:

إن من طبيعة العربي الميل إلى الإيجاز و الاختصار في كلامه ، لأن الإيجاز عندهم أبلغ من الإطناب و الإطالة ، و ذلك لأنهم يرون أن البليغ من سلك هذا المسلك و أن البلاغة إنما هي التعبير بكلمات قليلة تعطي معنى كثيرا ، فضلا عن ما يمنحه هذا التعبير من قوة و جزالة و عما يسعى إليه من تخليص العبارات من الثقل ، و كما يقال الإيجاز ذروة البلاغة .

«و الذي يتلمس هذا اللون من مسوغات التوسع يجده واسعا في كتاب الله عز وجل و في كلام العرب ، فمما ورد منه في القرآن الكريم قوله تعالى :" فَلَمَّا اسْتَيْأَسُوا مِنْهُ خَلَصُوا نَجِيًّا" [2]، قال عبد الله بن محمد بن سفيان النحوي المعروف بالخزار عن هذه الآية أنها : " لغة الحجاز و هي غاية الإيجاز"[3] »

---

(1)- التوسع في كتاب سيبويه ، عادل العبيدي ، ص11..

(2)- سورة يوسف ، الآية 10

(3)- التوسع في كتاب سيبويه ، ص11.

إن هذه الآية الكريمة في منتهى البلاغة و في أعلى درجات الفصاحة والبيان ،بل هي من أعظم شواهد الإيجاز والاختصار و الإعجاز؛فبكلمات قليلة صورت معنى كبيرا،" صورت حالة إخوة يوسف و قد تملكهم اليأس ،اعتزلوا الناس و هم يقلبوا الرأي ظهر البطن، يفكرون في تدبير الأمر الجلل الذي سيواجهون به أباهم ، فإيجاز هذه الآية الكريمة وإعجازها قلما تجد لمثله نظيرا في كتاب الله على عظم فصاحة القرآن وعلـــــو أسلوبـــه و جزالة منطقة و كثرة الإيجاز و الاختصار فيه " [1].

" و مما يتوسع فيه إيجازا و اختصارا ، حيث يحذف منه ما يمكن أن تهدي القرائن العقلية ، قوله تعالى في قصة سليمان والهدد و بلقيس " **ا ذْهب بِّكِتَابِي هَٰذَا فَأَلْقِهْ إِلَيْهِمْ ثُمَّ تَوَلَّ عَنْهُمْ فَانظُرْ مَاذَا يَرْجِعُونَ** " سورة النمل الآية 28 و الآية التي بعدها مباشرة: "**قَالَتْ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ إِنِّي أُلْقِيَ إِلَيَّ كِتَابٌ كَرِيمٌ**"سورة النمل الآية 29 ، فبين الآيتين أمور حدثت يفهمها السامع من القرينة العقلية ، و تقدير المحذوفات فأخذ الكتاب فألقاه إليهم ، فرأته ملكتهم فقرأته " [2].

و مثل هذا التوسع في التعبير قليل في لغات العالم كثير في لغتنا ، و هي أوسع في التصرف من غيرها ، قال صاحب **التفسح** و هو يمتدح العربية بالإيجاز و الاختصار ويسمها سعة التفسح و دقة التصرف قال :" و لا نعلم لغة أوسع تفسحا ، و أدق تصرفا من العربية ، و لا أغمض مسلكا و لا أخصر إيجازا ،و لا أقدح للأذهان إفهاما ، ألا ترى في القرآن" فَسَيَكْفِيكَهُمُ اللَّهُ" [3]،كلمة واحدة تشتمل على ثلاثة أسماء : الياء لله عز وجل و الكاف الثانية للنبي صلى الله عليه و سلم و الهاء و الميم للكفار) [4]، هذا ما كان منه

---

(1)- المرجع السابق ، ص11

(2)- نفسه ،ص12.

(3)-سورة البقرة الآية 137.

(4)- التوسع في كتاب سيبويه ، عادل العبيدي ، ص12.

في القرآن أما فيما يخص كلام العرب فكثير أيضا ، فكتاب سيبويه جاء يزخر بأساليب التوسع للإيجاز و الاختصار ، إذا عقد لذلك الأبواب في كتابه قائلا :" **هذا باب استعمال الفعل في اللفظ لا في المعنى لاتساعهم في الكلام ،و الإيجاز و الاختصار** " [1] وقد ساق تحت هذا الباب أمثلة كثيرة يربط بها التوسع بالاختصار مرة ، و التوسع بالإيجاز مرة أخرى ، فمن الأول – الاختصار- قوله :" **صيد عليه يومان ، و إنما المعن صيد عليه الوحش في يومين و لكنه اتسع و اختصر** ..." ، ومن الثاني قوله " **كم ولد له ؟ فيقول : ستون عاما ، فالمعنى ولد له الأولاد و ولد له الولد ستين عاما ، و لكنه اتسع وأوجز**" [2].

كثرة الاستعمال :

تعد كثرة الاستعمال في الكلام من العلل الشائعة في التوسع لدى اللغويين والنحاة، قد عالج سيبويه مسائله في كتابه منها ما جاء في كلامه على حذف الجار (ولكنهم قد يضمرونه و يحذفونه فيما كثر من كلامهم،لأنهم إلى تخفيف ما أكثروا استعماله أحوج)[3] وقال في موضع أخر من الكتاب:"...**و غير هذا ؛لأن الشيء إذا كثر في كلامهم كان له نحو ليس لغيره مما هو مثله...فالعرب مما يغيرون الأكثر في كلامهم عن حال نظائره** " [4]، و هكذا تكرر عبارات (كثرة الاستعمال) أو شيوع الاستعمال في كتاب سيبويه ، ليتبين لنا أنه كان على دراية و معرفة بهذا النوع من العلل أو المسوغات ، أما ابن جني فإنه ينظر إلى الاتساع في العربية نظرة شمولية واسعة تقدم بها على كل من سبقه خطوات ،و كان يعول كثيرا على شيوع الاستعمال و الاستئناس به في شرح ظاهرة التوسع في الكلام

(1)- الكتاب ، سيبويه ، ج1، تح و شرح عبد السلام هارون ، بيروت ، عالم الكتب ، ط3، 1983، ص108.
(2)- المصدر نفسه ، ص108.
(3)- الكتاب ، سيبوية ، ج1، ص294.
(4)- المصدر نفسه ، ص310.

و ذلك لأن أكثر الأساليب دورانا في الاستعمال هي أكثرها عرضة للتوسع ، و بناء على القلة و الكثرة في الاستعمال فقد يشيع التوسع و يكثر في أبواب دون غيرها ، كالذي يكون في باب الظروف ، حيث إن الظروف يتوسع فيها أكثر من غيرها ، و سوف ندرس هذا الباب أي التوسع في الظروف في الفصل الثاني عند أئمة النحاة .

و يرى ابن جني أن أكثر الأساليب توسعا قائمة على المجاز ، و لعل ذلك راجع إلى نظرته الواسعة إلى مثل هذه الأساليب على أنها ضرب من ضروب المجاز ، و موقفه من اللغة على أنها مجاز في مجاز [1]، و بهذا يعد ابن جني ابعد أفقا ، و أكثر مرونة و أشمل تعميمنا في معالجة نصوص التوسع و أسبابه من سيبويه ، و لعل السبب في ذلك أن إمام النحاة كان يؤصل لمثل هذه المسائل ، أما الذين جاؤوا بعده شرحوا و فصلوا (أمثال ابن السراج و ابن الجني ...) و بما أن الاتساع له أسباب و علل توجبه كذلك له موانع باعتبار أن اللغة محكومة بضوابط ، فالتوسع فيها – إذن – ليس أمرا فوضويا لا ضابط له بل هناك موانع تمنع المتكلم من أن يتوسع في غير مواطن التوسع .

موانع التوسع

لعل من أهم وظائف هذه الموانع و علل الإتيان بها هو منع الاضطراب و الخلل الذي يؤدي إلى سوء التركيب في الجلة العربية و الأسلوب الصحيح ، و من ثم إيجاد التوافق والتوازن في أساليب النظام اللغوي العام .

فالكلام العربي و إن جرى على الإيجاز و الاختصار و الحذف و استعمال المجازات المختلفة في التعبير عن أغراضهم إلا أن ذلك لا يجري بشكل صائب فيختار المتكلم متى شاء و يتوسع متى شاء " **و ذلك أن كلام العرب و إن كثر الاتساع فيه ، محظور بحروف**

(1)- التوسع في كتاب سيبويه ، عادل العبيدي ، ص13.

معدودة معروفة ، و محصور بأوزان معلومة تلحقها الافهام و يشتمل عليها إعراب يتفق به ذو الأذهان " [1]، و بناء على هذا المحظور في اللغة حاولنا رصد أهم الموانع منها :

أولا : الإجحاف :

و هو من العلل التي ذكرها العلماء في مؤلفاتهم و على رأسه من سيبويه في مؤلفه الكتاب إذ قال :" **و اعلم أن ما جاء في الكلام على حرف قليل و لم يشذ علينا منه شيء إلا مالا بال له إن كان شذ ، و ذلك لأنه عندهم إجحاف أن يذهب في أقل الكلام عددا حرفا "**[2]، و يسمى سيبويه الإجحاف ، إخلالا نحو قوله " ...**ثم الذي ما يكون على حرف ما يكون على حرفين و قد تكون عليها الأسماء المظهرة المتمكنة و الفعال المتصرف و ذلك قليل؛لأنه إخلال عندهم بهن ،لأنه حذف من أقل الحروف عددا "**[3]، « و مما وصف سيبويه (بالإخلال المفرط) ما ذكره في باب تكون الزوائد فيه بمنزله ما هو من نفس الحرف ، فذكر أنهم " لو حذفوا من (سميدع) حرفين لحذفوا من (مهاجر) **حرفين فقالوا** : (**يا مها**) و هذا لا يكون ؛لأنه إخلال مفرط بما هو من نفس الحرف " [4]» [5]، ضف إلى ذلك كثير من النحاة ما كانوا يعرفون هذا الضرب من الإجحاف في الحذف من الكلام، فهذا الإمام السيوطي قد عقد له باب في كتابه (**الأشباه و النظائر**) في النحو : سماه اختصار المختصر ، و في هذا الباب تحدث عن ما يمنع و ما لا يجوز من الأساليب في الكلام العربي ، ونص على أن (اختصار المختصر لا يجوز لأنه

---

(1)- التفسح في منظور اللغة و منظومها ، لأبي الحسين عبد الله بن محمد النحوي ، رسالة ماجستير ، تح عبد الجبار ، عبد الأمير هاني ، جامعة البصرة ، كلية التربية ، 1990 ، ص3-4.

(2)- الكتاب ، سيبويه ، ج2، ص304.

(3)- المصدر نفسه ، ج2، ص305.

(4)- نفسه ، ص339.

(5)- التوسع في كتاب سيبويه ، عادل العبيدي ، ص16.

إجحاف به ، و من ثم لم يجز حذف حرف الجر قياسا) [1]، و هذه الأمثلة دليلا على وجود مانع الإجحاف في التوسع في الكلام العربي .

ثانيا :الالتباس :

و هو محظور في اللغة و مانع قوي من موانع التوسع في الكلام ، لذا وضع النحاة له ما يزيله كالإعراب الذي وضع في الأسماء ليزيل اللبس الحاصل فيها باعتبار المعاني المختلفة .

و من استعمالات العرب خشية الوقوع في الالتباس أنهم " **لم يجمعوا (حَيَةً) على (حي) لئلا يلتبس بالحي الذي هو ضد الميت بخلاف سائر ما كان من هذا النوع ك (بقرة) و (نعامة) و (حمامة) و (جرادة) فإنهم أسقطوا في جمه الهاء و كذا في مذكره** " [2].

و من المسائل الصرفية التي حاكاها السيوطي عن صاحب (البسيط) أنه قال " كان قياس اسم المفعول من الثلاثي نحو : (ضرب) و (قتل) على (مفعل) بأن يقال: (مضرب) و (مقتل) ليكون جاريا على (يضرب)و (يقتل) إلا أنه عدل إلى مفعوله لئلا يلتبس باسم المفعول من (أَفعل)نحو (مَكرَم) و (مضَبَ) من (أكرم) و (أَضَرِب) و خص الثلاثي بالزيادة لقلة حروفه " [3].

و هكذا يعد (الالتباس) من أهم موانع التوسع في الكلام .

و بما أن التوسع في كلام العرب " أكثر من أن يحاط به " [4]، فالعرب لهم مسالك و طرق في العبير عن أغراضهم ، فيجيزون و يختصرون و يتوسعون في كلامهم كثيرا ، و ذلك

---

(1)- الأشباه و النظائر في النحو ، ج1، ص56.

(2)- المصدر نفسه، ص329.

(3)- نفسه، ص325-326.

(4)- الأصول في النحو ، ابن السراج ،ج2، ص255.

لحدة أذهانهم و جودة إفهامهم ينتبهون للرمزة الدقيقة و ينتقلون للإشارة اللطيفة و اللحظة الرقيقة فلذلك ترى كلامهم مشحونا من أنواع الإيجاز والاختصار والحذف والاقتصار [1].

و لما كان ديدنهم في الكلام على هذا فالتوسع – إذن – يشتمل على جميع مستويات اللغة و عامة ضروبها ،و إن كان ليس بالضرورة أن يشيع التوسع على حد واحد في جميع اللغات .

و بهذا نرى كثرة الاختلافات و التباين في التوجيهات الإعرابية و سعة التأويل للنصوص العربية الواردة في كلامهم شعرا و نثرا ، فضلا على النصوص القرآنية و قد ركز البحث على مستويين اثنين هما المستوى النحوي و البلاغي لأنهما أكثر المستويات تجليا لظاهرة الاتساع .

(1)- التوسع في كتاب سيبويه ، عادل العبيدي ، ص20.

الفصل الأول : ماهية الاتساع و أنماطه

المبحث الأول: مفهوم الاتساع

المبحث الثاني: أنماط الاتساع

المبحث الأول: مفهـــــــــوم الاتســـــــــاع

أولا : الاتساع في اللغة العربية :

تشير المعطيات المعجمية إلى أن الاتساع ينتمي إلى الأصل اللغوي (وسع)، إذ ورد في مقاييس اللغة «الواو والسين والعين: كلمة تدل على خلاف الضيق والعسر، يقال وسع الشيء ، اتسع و الوسع الغني والله الواسع أي الغني» [1]

وجاء في تهذيب اللغة للأزهري (ت370هـ) :وسعت البيت وغيره فاتسع واستوسع [2]

وذكر الجوهري (ت398هـ):أن التوسع ضد الضيق تقول :وسعت الشيء فاتسع واستوسع أي صار واسعا وتوسعوا في المجلس أي تفسحوا [3]

وقال الزمخشري (ت538):وسع المكان وغيره سعة وسعة واتسع وتوسع واستوسع ثم أورد قول النابغة[4].

تسع البلاد إذا أتيتك زائرا إذا هجرتك ضاق عني مقعدي .

وكان مما يفهم من كلامه أن (التوسع) ضد (التضييق) ما ساقه من المجاز من قوله: إنه ليسعني ما يسعك ولا يسعني شيء ويضيق عنك ولا يسعك أن تفعل كذا و وسع الله عليك العيش أوسعه ،وأوسع الرجل والتوسع اتسعت حاله ،وهو في عيش واسع ،والله واسع [5] ووسعت رحمته كل شيء [6]

وأشار ابن المنظور(ت711هـ) في لسان العرب تحت المادة وسع إلى أن في أسمائه سبحانه وتعالى «الواسع» وهو الذي رزقه جميع خلقه .

---

(1)- ينظر : مقاييس اللغة ،لأبي الحسن أحمد ابن فارس ،ت ع عبد السلام هارون ،ط1 ،الدار الإسلامية 1990م،م ج 06 ص109

(2)- تهذيب اللغة :لأبي منصور أحمد الأزهري ، إشراف: محمد عوض ،ط1 ، بيروت لبنان ،دار إحياء التراث 1421هـ،2001 م مجلد02 ،3،ص61

(3)- الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية ، حماد الجوهري ،تع:عبد الغفور عطار ،ط4،بيروت ،لبنان ،دار العلم للملايين ،1990: /129

(4)- نقلا عن التوسع في كتاب سيبويه ،عادل هادي حمادي العبيدي ، مكتبة الثقافة الدينية ،القاهرة ،د،ط،تً 14

(5)- إشارة إلى قوله تعالى «والله يؤتي ملكه من يشاء ،والله واسع عليم « البقرة -247.

(6)- إشارة إلى قوله تعالى «ورحمتي وسعت كل شيء «الأعراف 156

و(وسعت رحمتي كل شيء)ثم قال: وسعت نقيض الضيق ،واتســـــع كوسع والتوسيع خلاف الضيق [1].

وذكر الزبيدي (ت1602هـ)أن «التوسعة » والسعة بمعنى واحد وبه تسمى ابن السكيت كتابه «التوسعة»[2]

ومن خلال استقراء بعض ما جاء في المعاجم حول هذا الجذر أنه يحوي عدة معاني مجردة المح إليها ابن فارس في قوله «خلاف العسر «وهو أمر معنوي ومعنى آخر حسي بقوله : (خلاف الضيق) فمن بين المعاني الحسية التي يشير إليها الجذر اللغوي (واو سين عين) .

أ–الامتداد والسرعة :« وفرس وساع إذا كان جوادا ذا سعة في خطوه وذرعه»[3]

وفرس وساع :أي سريع الخطو [4] ،والفرس الذريع الخطو:وساع «[5]

وقريب منه ما جاء في الصحاح و أساس البلاغة وقاموس المحيط .

ب–الاحتواء : ورد في التهذيب «يقال هذا الكيل سعه ثلاثة أمناء وهذا الوعاء يسعه عشرون كيلا ،وهذا الوعاء يسع عشرون كيلا » [6] وعقب صاحب القاموس «وهذا الإناء يسع عشرين كيلا ،أي يتسع لعشرين ،وهذا يسع عشرون كيلا ،يتبع فيه عشرون » [7] والأمر كله يعود إلى باب نزع الخافض،لأن الفعل (يسع) في النصوص السابقة لازم لا يتعدى إلى ما بعده بواسطة

(1)– لسان العرب ، ابن منظور،مراجعة وتدقيق ،يوسف البقاعي ،إبراهيم شمس الدين ،نضال علي ،ط1،بيروت لبنان ،مؤسسة الأعلمي للمطبوعات 392 / 2005،8،

(2)–تاج العروس من جواهر القاموس ،محمد مرتضى الزبيدي ،تع :مصطفى حجازي ،سلسلة التراث العربي (16)،د ط ،مطبعة حكومة الكويت 1985م ،216/22،

(3)– تهذيب اللغة ،أحمد الأزهري ،المجلد 02،ص61

(4)– مجمل اللغة ،أحمد بن فارس بن زكريا اللغوي ،دراسة وتع :زهير عبد الحسن سلطان ،ط2،بيروت /مؤسسة الرسالة ،1986،ص935

(5)– مقاييس اللغة ،6/ ص 109

(6)– تهذيب اللغة .3ص61

(7)–تاج العروس 325/22

حرف الجر ،يقول صاحب التهذيب :»والأصل في هذا أن تدخل فيه «في» و«على» و«اللام»؛لأن قولك :الوعاء يسع عشرين كيلا معناه : يتسع لعشرين كيلا .

أي يتسع لذلك ،ومثله هذا الخف يسع رجلي أي يسع لرجلي ويسع على رجلي أي يتسع لها وعليها ،ونقول هذا الوعاء يسعه عشرون كيلا ،معناه يسع فيه عشرون كيلا أي يتسع فيه عشرون كيلا ،الأصل في هذه المسألة أن يكون بصفة [1]،غير أنهم ينزعون الصفات من أشياء كثيرة حتى يتصل الفعل على ما يليه ويفضي إليه كأنه مفعول به ،كقولك كلتك واستحييتك ومكنتك أي كلت لك واستحييت لك ومكنت لك . [2]

أ. **التفسح** : ورد في الصحاح وتوسعوا في المجالس ،أي تفسحوا فيه [3] وقريب منه ما ورد في المعجم العربي الأساسي «:توسع القوم في المجلس : تفسحوا فيه » [4] وبهذه التسمية وصلت إلينا أولى المصنفات التي خصت الاتساع بالشرح والتفصيل في كتاب مستقل بعنوان «التفسح في منثور اللغة ومنظومها وإعراب القرآن الشاهد بذلك لها «لأبي الحسن عبد الله بن محمد بن سفيـــان النحـــوي (ت 325هـ) [5].

المعاني المجردة :

أ. **الغنى وقدرة ذات اليد** :جاء في العين «الوسع جدة الرجل ،قدرة ذات يده «،وورد في أساس البلاغة «وسع الله عليه العيش وأوسعه ،وأوسع الرجل واستوسع :اتسعت حاله ،وهو في عيش واسع والله واسع عليم » (البقرة 02/274) ومن الدعاء « اللهم وسع علينا أي : وسع»،وأوسع فلان كثر ماله وصار ذا سعة وغنى [6]

(1)- الاتساع وأثره في المعجم العربي ،لسان العرب أنموذجا ،علاء حمادي ،د ط ،جامعة كربلاء ،2012 ،ص 6

(2)- ينظر : في تهذيب اللغة 3/ص61

(3)- الصحاح ،1297/2

(4)- الاتساع وأثره في المعجم العربي ،لسان العرب أنموذجا ،ص15

(5)- ينظر :المرجع نفسه ص15

(6)- نقلا عن :الاتساع وأثره في المعجم العربي ص16

ب. **الجدة والطاقة** :ورد في جمهرة اللغة :الوسع : الطاقة بفتح الواو ،وبضمها أيضا قوم ،وفي تهذيب اللغة : «هل تسمح هذا؟ أي هل تطبقه؟»

وما أسع ذاك أي ما أطيقه[1] ،والطاقة هنا هي القدرة والتمكين لا الغنى وقدرة اليد ،(السعة) :الطاقة والقوة ... [2] وأضيف إليها القدرة في المعجم العربي الأساسي لتصبح «طاقة وقدرة وقوة عمل على قدرة سعته»[3]

ج. **الجواز**: «لأن الجائز موسع غير مضيق « مثل لا يسع امرأتيه أن تقيما معه، أي لا تجوز لهما الإقامة ،ومثله:لا يسع المسلمين أن يأبوا على أهل الحصن بمعنى لا يجوز لهم [4] .

ومن الكلام السابق نستنتج أن الاتساع في مواضعه كلها ،المجردة والمحسوسة لم يخرج عن المعنى العام للاتساع الذي هو ضد الضيق والانحسار فكل من الغنى والطاقة والتفسح ،يعود في أصلها إلى كل ما يدل على الانتشار والسعة .

تنتقل الألفاظ اللغوية من الدلالة على المعاني المحسوسة إلى الدلالة على المجردات باعتبار أن الحسي أسبق في الوجود من المعنوي المجرد، «وعندما ترتقي اللغة يرتقي أصحابها ثقافيا وفكريا ، فالألفاظ أيضا تتغير وتتطور مدلولاتها للتعبير عن أفكار أوصفات » [5] . وهذا الأمر أيده العلماء ،فثبت بالملاحظة "أن أول ما يحصله الطفل من معاني المحسوسات" [6] ،ويبدو أن الاتساع من بين تلك الألفاظ التي أصابها هذا النوع من التطور فتندرج من المحسوس إلى المجرد ،وقد تنبه الزجاج (ت311هـ) إلى هذا الأمر بقوله :

---

(1)- ينظر تهذيب اللغة ،ج03،ص62.

(2)- المصدر نفسه ،ج03،ص62

(3)- المصدر نفسه ،ج03،ص63

(4)- الاتساع وأثره في المعجم العربي ، ص 18

(5)- علم الدلالة التطبيقي في التراث العربي ،هادي نهر ،ط01 ، الأردن ،دار الأمل ،2007 ، ص 62

(6)- ينظر علم اللغة مقدمة للقارئ العربي ،محمود سعران ، د ط ،لبنان ،دار النهضة العربية ،د ت ، ص 272.

«أصل اللغة في الكلام كثرة أجزاء الشيء،يقال إناء واسع وبيت واسع ثم قد يستعمـــــل في الغنى، يقال فلان يعطي من سعة، وفلان واسع الرحل، وهو الغني... »[1] .

ولابد أن يكون تعدد أجزاء الشيء محسوسا ليصدق عليه وصف الاتساع فضلا عن أن الزجاج أشار بوضوح إلى انتقال دلالة الاتساع من المحسوس،إلى قوله :(قد يستعمل في الغنى)وهو من المجردات إلى هذه النتيجة توصل الباحث حسن سليمان حسن بقوله :"الدلالة الأصلية هي سعة المكان وهي دلالة حسية ثم انتقلت إلى الاتساع المعنوي من قبيل اتساع اليد والقدرة على العطاء ،واتساع الأخلاق والدلالة على الزيادة والنماء عامة "[2] .

وبعد هذه الجولة الخفيفة في حقل المعجمات وما يؤديه مصطلح الاتساع من معاني متنوعة ننتقل إلى حلقة أخرى حلقة اللغويين والبلاغيين ضمن المفهوم الاصطلاحي .

ثانيا مفهوم الاتساع اصطلاحا:

لعل أبرز ما يجذب الانتباه في كتب اللغويين التي دار في أعطافها مصطلح الاتساع تضع ذلك المصطلح في استعمالاتهم اللغوية من دون وجود ما يشير إلى أصول ذلك المصطلح أو بيان لحدوده فاستعمله اللغويون بوصفه مصطلحا قارا متفقا عليه بين اللغويين جميعهم فلا يحتاج إلى إيضاح واحد،فلو طالعنا كتاب سيبويه – بوصفه من أول المؤلفات – وجدنا هذا المصطلح يدور في أثنائه كثيرا بوصفه"كمية صوتية وشحنة دلالية توفر لك الجهد وتختصر لك المسافة وتقترب الزمن في عمليتي التوصيل والتحصيل ..." [3]. وكأن جزاءا من عملية تطور مصطلح الاتساع وأجزاء منها قد فقدت ولم يبق إلا (الاتساع) بوصفه مصطلحا فنيا ثابتا متفقا عليه علماء اللغة الأقدمين .

---

(1)- نقلا عن الاتساع وأثره في المعجم العربي ،ص20

(2)- المرجع نفسه ، ص 21

(3)- علم الدلالة التطبيقي في التراث العربي ،هادي نهر ،ط01 ، الأردن ،دار الأمل ،2007 ، ص 62

والأمر الآخر الذي يجذب انتباه الباحث في كتب اللغة العربية هو تعدد تعريفات الاتساع المطروحة من لدن العلماء تبعا نوع الذي ينسب إليه ذلك العالم ،ربما عاد هذا الأمر إلى كون الاتساع يشغل حيزا كبيرا من اللغة ،أو هو نظام مواز لنظام اللغة وظيفته منح اللغة حياتها و تطورها ، فالنظام يفيد الاتساع و يمنح اللغة من أن تتحول إلى فوضى ، و الاتساع يفتح باب التجوز في النظام اللغوي و يمنع ذلك النظام من أن يتحيز بالشكل الذي يقف عائقا أمام تطور اللغة بما يواكب مسيرة المجتمع ." [1] .

فالاتساع وفقا للكلام السابق لا يمكن حصره في نظام من أنظمة اللغة بل تجده يدخلها جميعا «و إذا ما تتبعنا هذه الظاهرة في كتب اللغة فإننا نجدها في باب الحذف والزيادة و التقديم و التأخير ، و الحمل على المعنى و التشبيه و التوكيد ،و في باب المجاز إذا ألحق الحقيقة ، و في كتب البلاغة نجدها في المجاز (التشبيه ، و الاستعارة ، والكناية ، والمجاز المرسل)، و في كتب النحو تطالعها في باب الحذف والتضمين ،والمجاوزة وفي الظرف،والجار و المجرور و في أمور كلية ذكرها ابن هشام و ذكرها غيرها و كذا تطالعها في كتب فقه اللغة في أبواب الاشتقاق و النحت و التعريب »[2] .

و هذا النص يؤدي بنا إلى محاولة الإحاطة بمصطلح الاتساع لدى اللغويين والبلاغيين.

1. الاتساع عند اللغويين

على الرغم من أن الاتساع كان وليد الدراسات اللغوية' ونشأ في جنبها حتى استقر مصطلحا فنيا ثابتا ' فإننا لا نجد بين تلك الدراسات دراسة تناولته بالحد والتقرين والتنظير ' بل نجدها تشير إليه إشارة ' وترمي إليه من طرف خفي ' إما بذكر العنوان من دون ذكر ما يدل عليه عند المؤلف وهو المال في كثير من من المؤلفات العربية

(1)- ينظر : الاتساع في العربية ، عواطف ياسين علي (ماجستير ،كلية الآداب جامعة البصرة ،دط، 1413، 1992، ص07.

(2)- الاتساع اللغوي بين القديم و الحديث ، عطية نايف الغول ، دط، عمان ، الأردن ، دار اليروني ، 2008، ص07.

وعلى رأسها كتاب سيبويه ، إذ إنه كثيرا ما أورد مصطلح الاتساع ، والتوسع والسعة آ بل إنه ذكره في المعنى لاتساعهم في الكلام ، والإيجاز والاختصار [1] وهذا باب ما يكون فيه المصدر حبنا لسعة الكلام والاختصار [2] من دون أن يشفعهما بتبليغ بسيط حول مفهوم هذا المصطلح عنده ، وأما بذكر فيه عبارة تدل على جزء من مفهوم الاتساع ، من دون بيان عنوان ذلك التلميح على شاكلة قول القراء (ث 207هـ) " وقد تضع العرب الحرف في غير موضعه أذا كان المعنى معروفا [3] وهذه أشارة واضحة إلى الاتساع في حروف الجر.

ولكي لا نظلم حق اللغويين العرب لا بدلنا من الإشادة بالوقعة التي نوفق فيها ابن السراج (ت 316هـ)عند الاتساع بوصفه بابا من أبواب كتابه (الأصول) هذه المحاولة يمكن عدها من أقدم محاولات اللغويين العرب وأكثرها قربا إلى وضع تنظير الاتساع ، بعد أن أدرك أن مصطلح الاتساع

فضفاض المفهوم لذلك حاول تحديده ، وذلك يجعل الاتساع جزءا من الحذف وفي هذا إشارة إلى أنه " ليس حذف اتساعا" [4] .

ومن اللغويين المتأخرين الذين تولوا الاتساع بالتعريف السيوطي (ت 911هـ) الذي قصر الاتساع على الظرف ، بقوله : التوسع جعل الظرف مفعولا على طريق المجاز،فيسوغ حينئذ إضماره غير مقرون ب(في) نحو :(اليوم سرته) [5] ونجده في

---

(1)- الكتاب ،سيبوية ،تح :عبد السلام هارون ، ط1 ،دار القلم ، القاهرة ،1966، ج2 ، ص 211

(2)- المصدر نفسه ، ج1 ، ص 222

(3)- معاني القران ،لأبي زكريا بن زياد الفراء ،ط و،بيروت ،عالم الكتاب ، ص 272

(4)- الأصول في النحو ، لأبي بكر بن السراج النحوي ،تح ،عبد الحسين الفذلي ،ط و،بيروت،مؤسسة الرسالة 1996 ،ج2 ص 255

(5)- بنظر : الأشياء والنظائر في النحو ، جلال الدين السبوطي ،ح : محمد عبد القادر الفاضلي ،ط1،بيروت ، المكتبة العصرية ،1999,ج1، ص 22ص23.

الكتاب أخر يكتفي بالتطبيق من دون وجود أي محاولة لوضع حد لمصطلح الاتساع [1] .

2. الاتساع عند البلاغيين:

على الرغم من أن مصطلح الاتساع في الدراسات البلاغية موروث من نظيراتها اللغوية " لكننا نجده أكثر انضباطا " في الوقت نفسه الذي كان فيه خاضها للتنظير والتطبيق "ولعل هذا لمصطلح بلغ مرحلة النضج حتى استوي مصطلحا فنيا على يد ابن رشيق القيرواني (ت 465هـ) الذي عقد له بابا في كتابه (العمدة)أطلق عليه اسم (الاتساع) ، ذكر فيه حدا لدوأ ورد جملة من الأمثلة التي ساقها للدلالة عليه" وقد توصل الدكتور عطية الغول في أن " البلاغيين توزعت أنظارهم مابين النظر إلى هذه الظاهرة من زاوية علم البيان أو من زاوية علم المعاني أو علم البديع " [2] " وعلى هذا فأن تعريفات البلاغيين للاتساع تنقسم على :

أ– علم البيان : ومن جملة هذه التعريفات ما أورده عبد القاهر الجرجاني (ت 471 هـ) : اعلم أن طريق المجاز والاتساع في الذي ذكرناه قبل أنك ذكرت الكلمة وأنت لا تريد معناها " ولكن تريد معنى ما هو ردف له أو شبيه ، فتجوزت بذلك في ذات الكلمة وفي اللفظ نفسه " وإذا عرفت ذلك فاعلم أن الكلام مجازا على غير هذا السبيل " وهو أن يكون النجوز في حكم يجري على الكلمة فقط ، وتكون الكلمة منزوكة على ظاهرها " ويكون معناها ، مقصودا في نفسه ومرادا من غير تورية ولا تعريض[3] ، ومثل له بقوله تعالى : (فما ربحت تجارتهم) [4] (البقرة :16،02)

---

(1)– الإتساع وأثره في المعجم العربي ، ص 30

(2)– الإتساع بين القديم والحديث، عطية الغول ، ص13

(3)– دلائل الإعجاز ، عبد القاهر الجرجاني ، تح :أبو النهر محمود محمد شاكر ،ط5 ،القاهرة مكتبة الغانجي ،2004، ص293

(4)– البقرة :16/2

إن الجرجاني يقرن الاتساع بالمجاز ويقرن بين التشبيه والمجاز وهذه الأبواب كلها عائدة إلى علم البيان، ولعل الأمر يصبح أكثر وضوحا عند ابن الأثير (ت 637هـ) .بقوله معرفا الاتساع بأنه : القسم الذي يكون الجدول فيه من الحقيقة إلى المجاز لغير مشاركة بين المنقول والمنقول إليه فذلك لا يكون إلا بطلب التوسع في الكلام ، وهو سبب صالح ، إذا التوسع الكلام مطلوب " [1]، فمعالم الاتساع عند ابن الأثير تتمثل في :

1* العبور من لفظ على حقيقته إلى المجاز

2*عدم المشاركة بين المنقول والمنقول إليه

3* الاتساع التشبيه والاستعارة " وهذه الأركان الثلاثة هي ما يبني عليه المجاز " وإن شئت قلت" إن المجاز ينقسم إلى توسع في الكلام ، وتشبيه ، واستعارة "[2]، وهو من ثم جزء من علم البيان

ب : علم المعاني : لعل التعريف الوحيد الذي نسب فيه الاتساع إلى علم المعاني هو ما ورد فيه كتاب التلخيص في علوم البلاغة للخطيب القزويني (ت 736 هـ) تحت عنوان التوشيح ، وهو التعريف نفسه الوارد عند علماء البيان أن يأتي المتكلم بمثنى يفسره بمعطوف ومعطوف عليه وذلك من أجل أن التثنية أصلها العطف [3]،ويمثل له بقول النبي صلى الله عليه وسلم : يكبر ابن ادم وتشيب معـــه خصلتان، الحـــرص وطول الأمل " [4]

لكن الفرق بينهما (أي بن القرويني ، والعلوي)، وهو أن الخطيب القرويني جعل التوسيع من الإطناب في علم المعاني .

---

(1)- نقلا عن : الاتساع وأثره في المعجم العربي ، ص26

(2)- المرجع نفسه ،ص 26

(3)- بنظر : الطراز ، يحي بن حمزة بن علي العلوي ، تح ، عبد الحميد هنداوي ، ط01، بيروت ، المكتبة العصرية ،2002 ، ص 50

(4)- المصدر نفسه ، ص 50

ج* **علم البديع** : لعل أكثر التعريفات التي تناولت الاتساع في الدرس البلاغي انتسب إلى هذا العلم ، بل إن أول التعريفات التي تناولت الاتساع كانت منضوية تحت هذا الباب ،يقول ابن رشيق (ت 456هـ) :" وذلك أن يقول الشاعر بيتا يتسع فيه التأويل ، فيأتي كل واحد بمعنى، وإنما يقع ذلك لاحتمال اللفظ ،وقوته،واتساع المعنى "[1] ويمثل له بقول امرئ القبس [2] :

مكر مفر مقبل مدبر معا كجلود صخر حطه السيل من عل

وابن رشيق في تعريفه السابق يضع مجموعة من العوامل التي تساعد على الاتساع هي احتمال اللفظ، وقوته ، احتمال المعنى، على هذا التعريف سار من جاء بعده إلا في تغيرات طفيفة ، فتجد باب الاتساع عند ابن أبي الإصبع (654هـ) : هو أن يأتي الشاعر ببيت يتسع فيه التأويل على قدر قوي الناظر فيه ' وبحسب ما تحتمل ألفاظه "[3] إذ يفسح ابن أبي الأصبع المجال أمام المرسل أليه ليأخذ دوره في عملية الاتساع " " لأن الاتساع قائم على التأويل أي مقدرة الملتقي على كشف ما في النص من اتجاهات في توجيه المعنى،والذهاب فيه مذاهب شتى" [4]،على حين نجد ابن الأثير الحلبي (ت 734هـ) بذكر الاتساع بمصطلح شجاعة العربية الوارد عند ابن جني ولكنه يلحقه بعلم البديع [5]

إن نظرات البلاغيين وإن اختلفت في وضع حد للاتساع فإنها تتكامل من جهة أخرى في بلورة هذا الحد إن كل عالم من علماء البلاغة العرب نظر من زاويته الخاصة

---

(1)- ينظر : الاتساع وأثره في المعجم العربي ' ص 38

(2)- ديوان امرؤ القيس ' اعتنى به وشرحه : عبد الرحمن المصطاوي ' ط2' بيروت ' لبنان '2004 ' ص 54

(3)- تحرير التحرير في صناعة الشعر والنثر و بيان إعجاز القران ، ابن أبي الأصبع المصري ، تح : عفني محمد شرف ، ط، القاهرة ، لجنة الإحياء التراث الإسلامي ، 1963، ص 454

(4)- بنظر : الاتساع واثره في المعجم العربي ' ص 39

(5)- المرجع نفسه ، ص39.

للاتساع فنظر أليه من زاوية علم البيان يلاحظ وجود صلة بين المنقول والمنقول أليه ، ونظر له من زاوية علم البديع يلاحظ تعدد المعاني للقول الواحد .

المبحث الثاني : أنماط الاتساع :

مازالت لغة القرآن الكريم موضع عناية الدارسين و معقد اعتمادهم و ذلك لما يجدون فيها من أسرار دقيقة لم ترق إليها اللغات الأخرى ، كل ما سواها عاجز عنها قاصر عن القيام بما تقوم به من دلالات وما تؤديه من معاني فهي أوسع اللغات و المفردات نظرا لغنى أساليبها و تراكيبها و ألفاظها التي وفرت للمتكلم القدرة على التعبير عن مختلف المعاني بأشكال متعددة و متنوعة .

و لعل من أبرز الأبنية اللغوية التي تعتمد عليها لغتنا في توليد المعاني و توسيع دلالة ألفاظها يتجلى في أشكال الاشتقاق و الصيغ و الترادف و التضاد و الحقيقة و المجاز ، و النظم ... و هلم جرا ، و كل هذه الأبنية و غيرها أكسبت اللغة مرونة كبيرة في تطويعها لتفي بحاجات المتكلمين و أغراضهم و متطلبات حياتهم ، و هذا ما سنحاول إماطة اللثام عنه في هذا المبحث بالغوص في عنق هذه الظاهرة و استكناه أسراره و دررها الدفينة .

1- **الاشتقاق :**

لقد حظي الاشتقاق بدراسات مستفيضة من قبل الدارسين قديما و حديثا ، كونه يمثل ملمحا لغويا بارزا يتعلق ببنية الكلمة و تحولاتها الصرفية المتعددة إذ لا يكاد يخلو كتاب في اللغة إلا و قد خصص له حيز و اسعا في كتابه الخصائص [1].

و يعرف الاشتقاق " **بأنه توليد لبعض الألفاظ من بعض و الرجوع بها إلى أصل واحد يحدد مادتها و يوحي بمعناها الخاص الجديد** " [2].

(1)-ينظر : دلالة الألفاظ عند ابن جني من خلال كتاب الخصائص ، طارق بوموود ، مجلة المسارات اللغوية ، العدد 09، 2012 مخبر الممارسات اللغوية ، جامعة مولود معمري ، تيزي وزو ، ص36.

(2)-دراسات في فقه اللغة ، صبحي صالح ، ط2، نشر أدب الحوزة ، دار العلم للملايين مطبعة العلوم ، حازة حريك ، لبنان ، ص174.

لذا يعد الاشتقاق ضربا من أضرب التوسع في المعنى في اللغة العربية فهو الوسيلة التي تستطيع بها العربية أن تحتفظ بمعانيها القديمة إلى جانب معانيها الجديدة ، غير أن العلماء اللغويين كعادتهم اختلفوا في أصل هذه الظاهرة (الاشتقاق) فالبصريون قالوا ، أنه المصدر أما الكوفيون فقالوا ، إنه الفعل و لا داعي للتوسع في هذا الاختلاف حول أصل الاشتقاق فكتب اللغة مليئة بالحديث عنه [1]، فما يهمنا في هذا السياق هو بيان الاشتقاق في سعة اللغة العربية ، فإنه يمثل الدلالة المكتسبة للألفاظ حيث أنها تتمثل في أنواعه الأربعة (الأصغر و الكبير و الأكبر و النحت أو الاشتقاق الكبار) [2]، و في وجود هذه الأنواع الأربعة خلاف أيضا بين العلماء ، إلا أن المجمع عليه ورود الأصغر في العربية أكثر من غيره من الأنواع الأخرى ، وقد اتفقوا أيضا على " أن بعض الكلم مشتق و بعضه غير مشتق "[3].

الاشتقاق الأصغر : هو من أبرز أنواع الاشتقاق توسعا في اللغة العربية و أكثرها معرفة عند العرب ، نحو "عارف " ، " عرفان "،" معرفة ،" معروف ".. الخ فمنها نستطيع الحصول على عدد من الكلمات تصب في معنى واحد ، أي أن بينهما رابطا مشتركا و هذا يساعد اللفظ على الاحتفاظ بدلالته القديمة أو الأصلية التي اشتق منها و بذلك يمثل أكثر الأنواع اتساعا و حفاظا على الأصل القديم للألفاظ اللغوية ، لذا يساعد اللغة على مسايرة التطور الاجتماعي [4]، فهو وسيلة لإثراء اللغة و زيادة ألفاظها و قدرتها على التعبير و يساعد على دلالتها و صيغها .

أما **الاشتقاق الكبير** : فهو أن تأخذ أصلا من أصول الثلاثية للكلمة وتقلبها نحو ("ع،ر،ف"،"ع ،ف ،ر" ،" ر،ع ،ف " ، " ر،ف،ع "ف،ع، ر"،" ف، ر،ع ") وهكذا

(1)-نقلا عن ، دلالة الالفاظ عند ابن جني ، من خلال كتاب الخصائص ، طارق برمود ، ص40

(2)-دراسات في فقه اللغة ، صبحي صالح ، ص174.

(3)-المرجع نفسه ، ص 175.

(4)- أسرار اللغة ، إبراهيم أنيس ، ط5 ، مكتبة الانجلو المصرية ، القاهرة ،1984 ،ص63.

أيضا يجمعها معنى الانكشاف و الظهور ، و هذا يكثر أيضا في اللغة العربية إلا أنه أقل من الأول ، فالمشتقات تكثر حسب الحاجة إليها [1].

و**الاشتقاق الأكبر** « : **و هو أقل وجودا أو معرفة من سابقيه لدا قال عنه ابن جني " هذا موضع لم يسمه أحد من أصحابنا ، غير أن أبا علي الفارسي رحمه الله كان يستعين به و يخلد إليه مع إعوزاز الاشتقاق الأصغر ، لكنه مع هذا لم يسمه ، إنما كان يعتاده عند الضرورة و يسترجع إليه و يتعلل به و إنما هذا التقليب لنا نحن"**»[2].

و من خلال هذا النص نجد أن ابن جني ينسب تأصيل مفهوم الاشتقاق الأكبر لنفسه بقوله (لنا نحن) ، و أنه أول من خاض فيه تفصيلا و تنظيرا فلم يسبقه إليه أحد ولم يؤثر عن غيره ، سوى أبا علي الفارسي (أستاذه) كان يستأنس به و يستعين به عند الحاجة غير أن الفارسي لم يعده ركنا من أركان الاشتقاق حتى أنه لم يسمه البتة فهو ثانوي القيمة يلجأ إليه عند الضرورة .

و بالتالي يمكن القول بأن ابن الجني كان له فضل السبق و الريادة في تأسيس هذا النوع من الاشتقاق (الأكبر) الذي يقوم على الإبدال بين أصوات الكلمة مع المحافظة على المعنى الأصلي من ذلك (سراط ، صراط) و منه أيضا قوله تعالى :" أَلَمْ تَرَ أَنَّا أَرْسَلْنَا الشَّيَاطِينَ عَلَى الْكَافِرِينَ تَؤُزُّهُمْ أَزًّا " أي تزعجهم و أصل الكلمة (نهزهم) و الهمزة أخت الهاء [3]. هو ما ذهب إليه ابن جني (**و فسرها أيضا أبو السعود فجعلها واحدة بإرجاعها إلى أصل دلالي واحد يجمع بينهما إذ قال " تؤزهم أي تفسريهم و تهيجهم على**

(1)- فقه اللغة صبحي صالح ، ص211.

(2)-الاتساع في المعنى في تفسير أبو السعود ، سوسن خلدون ، د ط ، جامعة الإسلامية ، بغداد ، 2010، ص 93

(3)-سورة مريم ، الآية 83

المعاصي تهييجا شديدا بأنواع الوساوس و التسويلات فإن الاز والهز و الاستفزاز الكبير أخوات معناها لشدة الإزعاج) " [1].

فالاشتقاق الكبير يقوم على القلب و الاشتقاق الأكبر يقوم على الإبدال و قد رده أكثر المحدثين إلى أنه ضرب من التطور الصوتي الناتج عن اختلاف اللهجات كما أن العلماء فرقوا بين نوعين من الإبدال هما : الإبدال اللغوي الذي يحدث في الفظة بسبب تماثل بين حرفين أو تجانس أو تقارب أو تباعد كلها من ناحية المخرج و الصفة و الإبدال الصوتي الذي يكون باستبدال أصوات بأصوات أخرى مقاربة لها في المخرج إلا أنهما قد يختلفان صفة كالتاء و الطاء و غيرهما [2].

و النحت أو الاشتقاق الكبار : هو القسم الرابع من أقسام الاشتقاق فلم يعرف كثيرا عند العرب فهو أقل الأنواع السابقة انتشارا ، لقلة حدوثه في الألفاظ اللغوية ، و معناه أن تؤخذ كلمتان ومن دمج بعض حروفهما تتكون كلمة تجمعهما بحيث تدل اللفظتـــان أو الألفاظ الأولى الأصلية مثل (البسملة) مختصرة من(بسم الله) ، كما في (بلعم) المأخوذة من (بلع و طعم) ، و قيل أن النحت يستخدم عند الضرورة فلا حاجة له في اللسان العربي لأنه يقرب الكلمات العربية إلى الإفرنجية [3]..

و قد عقد ابن الجني لهذا النوع بابا اسماه (باب في تلاقي المعاني على اختلاف الأصول و المباني [4].

(1)-فقه اللغة ، صبحي صالح ، ص 211..
(2)-الاتساع في المعنى في تفسير أبي السعود ، سوسن خلدون ، ص 94.
(3)-المرجع نفسه ، ص94
(4)-الخصائص ، ابن الجني ، ج1، ص 474.

من الأنواع السابقة يتبين لنا أن زيادة حروف في الكلمة يعني زيادة في معناها،و كلما زادت حروف الكلمة على الأصول أدت إلى زيادة و مبالغة في معناها الذي أشارت له اللحظة الجديدة بعد الزيادة .

وبعد ما تقدم نؤكد و كما قلنا أن أنواع المشتقات هي ضرب من أضرب الاتساع إلا أن أكثرها شيوعا هو النوع الأول منها و هو الاشتقاق الأصغر الذي يوفر للمتكلم القدرة على الحفاظ على الدلالة الأصلية و شحنها بدلالة ثانوية عبر إحداث تغيرات في هيئتها الصرفية التي تولد لنا ما يعرف بالدلالة الصرفية .

2-الترادف :

هو ظاهرة لغوية تنبه العرب إليها عندما وضعوا قواعد اللغة نتيجة الحس اللغوي المرهف الذي سمعوه من القبائل العربية بعدما تكونت لديهم مجموعة من ألفاظ تدل على معنى واحد أو لفظ واحد يدل على عدة معان و هذه الظاهرة وجدت في اللغة العربية أكثر من غيرها من اللغات لذا قال علماء اللغة " **إنما أوقعت العرب اللفظين على المعنى الواحد ليدلوا على اتساعهم في كلامهم كما زاحفوا في أجزاء الشعر ليدلوا على أن الكلام واسع عندهم و أن مذاهبه لا تضيق عند الخطاب** "[1].

و قد أشار اللغويين القدماء إلى هذه الظاهرة بتسميات متقاربة فمنهم من قال أنها ألفاظ مختلفة لمعنى واحد ، وقالوا أنها تعدد الأسماء للمسمى الواحد كأسماء السيف فمنه " **الحسام** " و" **الصارم** " و "**العضب** " و غيرها ذلك الترادف تسمية مأخوذة من ركوب واحد تلو الأخر [2].

(1)-نقلا عن الاتساع في المعنى في تفسير أبي السعود ، سوسن خلدون ، ص85

(2)-لسان العرب ، ابن منظور ، دار الحديث ، القاهرة ، 2003 ، ص 100

و من الألفاظ أيضا التي استعملها العرب للدلالة على مسمى واحد الليث و الأسد فكلاهما يشيران لنفس الحيوان .

و بعد استقراء ما ورد في المؤلفات اللغوية توصلت إلى أن الترادف هو الألفاظ المفردة التي تشير إلى شيء واحد باعتبار واحد « و قد عرفه السيوطي بأنه : التعبير عن اللفظ بمرادفه لنكتة " ، وقال فيه أبو الهلال العسكري " أن يريد المتكلم الدلالة على معنى فيترك اللفظ الدال عليه الخاص و به يأتي بلفظ هو ردفه و تابع له فيجعله عبارة عن المعنى الذي أراده "»[1].

نجد هذه الظاهرة كثيرة جدا في اللغة العربية ما المعاجم العربية إلا دليل من ذلك من أيضا قوله تعالى:" **وَقِيلَ يَا أَرْضُ ابْلَعِي مَاءَكِ وَيَا سَمَاءُ أَقْلِعِي وَغِيضَ الْمَاءُ وَقُضِيَ الْأَمْرُ وَاسْتَوَتْ عَلَى الْجُودِيِّ وَقِيلَ بُعْدًا لِّلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ** "[2] ففي تفسيرها أن كلمة (ابلعي) تعني (اشنقي) و لفظة (اقلعي) إي امسكي عن إرسال المطر ، و لفظة (استوت) أي (استقرت الفلك) وقوله (بعدا للقوم الظالمين) أي (هلاكا لهم) [3] ، و بذلك لاحظنا أن كل اللفظ و مرادفه في اللغة يشير إلى المعنى نفسه ، إلا أن الأول يكون ابلغ في السياق الوارد فيه ، و كذلك نجد هذا الترادف بين ألفاظ القرآن الكريم بذكر لفظه في موضع و مرادفها في موضوع أخر و هذا كله وفق ما يقتضيه السياق من ذلك قوله تعالى:" **فَانفَجَرَتْ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا** " [4]. و بنفس المعنى ورد في موضع آخر قوله :**فَانبَجَسَتْ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا** "[5] ، و هذا ما عرف عند العلماء بـ(تعاور المفردات)

---

(1)-الاتساع في المعنى في تفسير أبي السعود ، سوسن خلدون ، ص 86.

(2)-سورة هود ، الآية 44.

(3)-الاتساع في المعنى في تفسير أبي السعود ، ، ص86.

(4)-سورة البقرة ، الآية 60.

(5)-سورة الأعراف ، الآية 160.

و الانفجار و الانبجاس يعنيان (خروج الماء) إلا أن الفرق بينهما يكمن في شدة تدفقه فالانفجار انصباب الماء بكثرة أي أشد من الانبجاس الذي هو ظهور الماء [1].

و لذلك فقد وصفت العربية سعة التعبير ، وكثرة المفردات ، و تنوع الدلالات والترادف فيها هو أحد أسباب نمائها و اتساعها حيث أن في فقه اللغات قاعدة تتضمن أن الكلمة الواحدة تعطي من المعاني و الدلالات ، بقدر ما يتاح لها من الاستعمالات لذلك يقول أحد العلماء بانفراد العربية بكثرة المفردات و سعة التعبير ، لذلك نلاحظ أن المهجور في الاستعمال من ألفاظها كتب له البقاء كما أن فيها مستعملا قد يهجر ، و هكذا نجد فيها أيضا ألفاظا أعجمية معربة ، ويعزي العلماء ظاهرة الترادف فيها إلى التباين بين اسم الذات و اسم الصفة أو صفة الصفة [2]، فقال ابن فارس " **يسمى الشيء الواحد بالأسماء المختلفة ، نحو السيف و المهند و الحسام الذي نقوله في هذا أن الاسم الواحد هو السيف و ما بعده من الألقاب صفات** " [3].

و قد ورد الترادف في كتب اللغة فعقد له سيبويه في الكتاب بابا أسماه (هذا باب اللفظ للمعاني) فقال:" اعلم أن من كلامهم اختلاف اللفظين والمعنى واحد ... ،نحو: ذهب وانطلق "[4]. ، و عقد ابن جني باب في الخصائص أسماه (تلاقي المعاني على اختلاف الأصول و المباني) قال فيه " **هذا فصل من العربية حسن كثير المنفعة ، قوي الدلالة على شرف هذه اللغة و ذلك أن تجد للمعنى الواحد أسماء كثيرة فتبحث عن أصل كل اسم منها فتجد مفضى المعنى إلى معنى صاحبه** "[5] ، و كل ذلك إشارة إلى الاتساع في

---

(1)-الاتساع في المعنى في تفسير أبي السعود ، ص87

(2)-ينظر:دراسات في فقه اللغة ، صبحي صالح ، ص296.

(3)-الصاحبي في فقه اللغة العربية و مسائلها و سنن العرب في كلامها ، أبو الحسن أحمد بن فارس ، تح : أحمد حسن بسيج ، ط1، الكتب العلمية ، بيروت ، 1997، ص65.

(4)-الكتاب سيبويه ، تح: عبد السلام هارون ، ط1، دار القلم ، القاهرة ، 1966، ج1، ص24.

(5)-الخصائص ، ابن الجني ، ج2، ص113.

اللغة العربية و أن الترادف أحد مظاهر ذلك الاتساع ، فهو يوفر عدد من الدوال المختلفة التي تتوازى جميعا في الدلالة على مدلول واحد ، إن هذا التوازي في الدوال هو الاتساع عينه الذي نحن بصدده ، هذا الاتساع الذي يوفر الأرضية الرحبة أمام المتكلم لاختيار ما يناسب حاجاته و يشعره بالرضا عن نفسه .

و بما أن الترادف طريقة في الاتساع كان محط أنظار العرب القدماء فهذا قطرب يقول:" **و كأنهم إنما أرادوا باختلاف اللفظين ، و إن كان واحدا مجازيا أن يوسعوا في كلامهم و ألفاظهم** " [1]، فالاتساع هدف منشود يتم بطريق الترادف ، و يقول الانباري " **و قال آخرون : إذا وقع الحرف على معنيين متضادين في الأصل لمعنى واحد ، ثم تداخل الاثنان على جهة الاتساع** "[2].

2- **المشترك اللفظي** : و هو أيضا من خصائص اللغة العربية التي تميزت بكثرته فيها عن اللغات الأخرى و هو أيضا مظهر من مظاهر الاتساع فيها و أقدم تعريف له نجده في كتاب سيبويه إذ قال :" إن من كلامهم ... اتفاق اللفظين و المعنى مختلف " فعقد له باب اسماه (هذا باب اللفظ للمعاني) [3].

و انقسم العلماء في وجوده باللغة العربية إلى قسمين فقسم أيد وجوده فيها و أخر أنكره فيها إلا أن إنكارهم جاء على سبيل جعل المعاني التي تشترك فيها اللفظة أحدها حقيقيا و الأخر مجازيا [4]. و هذا هو المشترك اللفظي ، فإنكارهم له لم يكن حملة إنما كان ما يسيء استعمال اللغة .

---

(1)-كتاب الأضداد ، لابي علي محمد بن المستنصر (قطرب) ، تح ، حنا حداد ، ط1، الرياض السعودية ، دار العلوم 1984، ص69.

(2)-كتاب الأضداد محمد القام الانباري ، ، تح محمد أبو الفضل إبراهيم ، دط، بيروت ، المكتبة العصرية ، 1987 ، ص08.

(3)-الكتاب ، سيبوية ، ج1، ص24.

(4)-نقلا عن الاتساع في المعنى في تفسير أبو السعود ، سوسن خلدون ، ص89.

و قد عرف المشترك اللفظي عند أكثر اللغويين بمصطلح (**ما تفق لفظه واختلف معناه**) إلا أنهم يعنون بالترادف أكثر منه في اللغة ، و الاشتراك يقع في أقسام الكلام الثلاثة (الأسماء و الأفعال و الحروف) و هو أيضا ضرب من ضروب الاتساع في دلالة اللفظة الواحدة اعتمادا على التوسع المجازي للدلالة لأنه كما يقول عنه أكثر الدارسين يدل على اتساع الطاقة التعبيرية للغة و بفضله تكتسب اللفظة مرونتها فتظل قابلة للاستعمالات الجديدة من غير أن تفقد معانيها القديمة [1].

و قد عرف الأصوليون المشترك بقولهم «**اللفظ الواحد الدال على معنيين مختلفين فأكثر دلالة على السواء عند أهل تلك اللغة** »[2]، و قد اختصره الدكتور صبحي صالح بقوله : «إن شئت أن تختصر تعريفه أمكنك أن تقول (**المشرك هو ما اتحدت صورته و اختلف معناه**)»[3].

و ما يمكن تثبيته هو أن جل الدارسين اللغويين الذين عالجوا قضية المشترك اللفظي لم يخرجوا عن كونه اتفاق صورة لفظة و اختلاف معناها ، و هناك أسباب أدت إلى تغيير دلالة اللفظ نذكر منها تغاير البيئات اللغوية و مدى ولوع المستعملين المجاز و إيثاره عن الحقيقة .

أما في القرآن الكريم فقد لقيت الألفاظ القرآنية المشتركة عناية فائقة من لدن اللغويين و المفسرين فافردوا لها كتبا مستقلة من ذلك مثلا أبو العباس المبرد الذي وضع كتابا بعنوان (**ما اتفق لفظه و اختلف معناه من القرآن المجيد**) ، و ابن قتيبة وضع بابا في كتابه (تأويل مشكل القرآن) سماه "باب اللفظ الواحد للمعاني المختلفة" [4].

---

(1)- الاتساع في تفسير أبو السعود ، سوسن خلدون ، ص89.

(2)-فقه اللغة صبحي صالح ، ص302.

(3)-المرجع نفسه ، ص202.

(4)-تأويل مشكل القرآن لأبي قتيبة ، شرح و نشر السيد أحمد صقر ، ط2، مطبعة الحضارة العربية، دار التراث ، القاهرة ، 1973، ص439.

إن أكثر المفسرون لم يصرحوا بلفظ المشترك إلا أنهم صرحوا بلفظ الترادف و ما يأتي بمعناه رغم أنهم مقرون بوجوده لأن نزول القرآن كان بلغة العرب على وفق أساليبهم الكلامية ، إلا أن اشتراك الألفاظ يتوضح من عرضهم لمعاني الكلمات القرآنية كما أنهم يعدون المشترك من باب المجاز [1]،ومن الأمثلة على ذلك قوله تعالى:"قَدْ أَنزَلَ اللَّهُ إِلَيْكُمْ ذِكْرًا" [2] وفي قوله أيضا :"وَإِنَّهُ لَذِكْرٌ لَّكَ وَلِقَوْمِكَ " [3]، فقد ذكر أبو مسعود أن لكلمة (ذكر) أربعة أوجه فقد جاءت في الآية المذكورة من سورة الطلاق بمعنى (جبريل عليه السلام) ووردت في الآية من سورة الزخرف بمعنى(الشرف) واحتملت أيضا أن المقصود بها الرسول ومعنى أخر هو (القرآن) [4].

و في هذا المقام يجدر بنا الإشارة إلى عامل السياق و الدور الذي يلعبه في تحديد معاني الألفاظ المشتركة ، و هذا السياق لا يقوم على كلمة تتفرد وحدها في الذهن ، إنما يقوم على تركيب يوجد من أجزاء الجملة ، فيخلع على اللفظ المعنى المناسب ، و بهذا لا يجد الباحث كبير عناء في فهم معنى اللفظ.

و يمكن أن نمثل لذلك بلفظ "الغروب" الذي يتردد في ثلاثة أبيات على قافية واحدة يستوي لفظها و يختلف معناها: [5]

يا ويح قلبي من دواعي الهوى * إذ رحل الجيران عند الغروب**

أتبعتهم طرفي وقد أمعنوا * ودمع عيني كفيض الغروب**

بانوا وفيهم طفلة حرة * تفتر عن مثل أقاحي الغروب**

---

(1)-الاتساع في المعنى في تفسير ابو السعود ، سوسن خلدون ، ص90.

(2)-سورة الطلاق ،الآية 10.

(3)-سورة الزخرف ،الآية 44.

(4)-الاتساع في المعنى في تفسير ابو السعود ، سوسن خلدون ، ص90.

(5)- نقلا عن دراسات في فقه اللغة، صبحي صالح، ص 308.

و من خلال هذه الأبيات يتجلى دور السياق في تحديده للمعاني المختلفة في اللفظ الواحد ، فالغروب الأول : غروب الشمس و الثاني جمع غرب: وهو الدلو العظيمة المملوءة، و الثالث جمع غرب: وهو الوهاد المنخفضة[1]

إن في المشترك لتنوعا في المعاني بسبب تنوع الاستعمال، وان في اشتمال العربية على قدر لا يستهان به من الألفاظ التي تنوع استعمالها يتنوع السياق لدليلا على سعتها في التعبير عن طريق الاشتراك كسعتها فيه عن طريق الترادف

رابعا: التذكير و التأنيث:

مظهر من مظاهر الاتساع في اللغة فعند تذكير أو تأنيث الألفاظ تتغير أبنيتها مما يؤدي إلى تغير معانيها و يسمى ذلك بـ "**علم الأبنية**" [2]

فعند انتقال اللفظة من تذكيرها إلى تأنيثها و من حقيقتها إلى مجازها يؤدي إلى زيادة في معانيها لذلك تدخل باب الاتساع و قلنا من حقيقتها إلى مجازها ذلك لان المذكر والمؤنث ينقسم من حيث النوع إلى حقيقي و مجازي.

فالمذكر هو " ما خلا من العلامات الثلاثة التاء و الألف و الياء نحو أرض، و حبلى وحمراء وهذي...، أما المؤنث: هو ما وجدت فيه إحداهن..." [3]

ومن خلال هذا التعريف يتضح لنا أن المذكر هو الأصل و المؤنث فرع منه وذلك لزيادة العلامات فيه، وما هو متعارف عليه أن الزيادة تكون دائما على الأصل و في هذا السياق يقول سيبويه" **اعلم أن المذكر اخف عليهم من المؤنث لان المذكر الأول، وهو اشد تحكما، و إنما يخرج التأنيث من التذكير، ألا ترى أن الشيء يقع على كل ما**

---

(1)- المرجع السابق، ص 308

(2)- الاتساع في المعنى في تفسير أبي السعود، سوسن خلدون، ص 96

(3)- المرجع نفسه، ص 96

اخبر عنه من قبل أن يعلم أ ذكر هو أو أنثى و الشيء ذكر..." [1] ، و بهذا فسيبويه يؤكد أسبقية المذكر على المؤنث باعتباره الأول و الأصل و أن المؤنث يخرج منه وينزاح عنه بزيادة العلامات.

و ينقسم التأنيث إلى قسمين: حقيقي و غير حقيقي، فالحقيقي يعرفه اللغويون بأنه ما كان له مذكر في الأصل كالمرأة، أما غير الحقيقي فهو ما كان مؤنثا بأصل وضعه و لا مذكر له من معناه كالظلمة و الشمس[2].

ويدخل في باب الاتساع من المذكر و المؤنث القسم الثاني منها و هو غير الحقيقي «لان الحقيقي أقوى من المجازي لذا امتنع كونه في حال السعة كما وجب أن تتوافر فيه علامات التأنيث كتاء التأنيث في أوله، أما المجازي فجاز لنا القول"طلعت الشمس أو طلع الشمس"[3] ، و قوله تعالى: "**وَأَحْيَيْنَا بِهِ بَلْدَةً مَيْتًا**"{ق11}،"حمله على المكان"[4] »[5] وقال ابن الجني: "**وتذكير المؤنث واسع جدا، لأنه رد فرع على أصل، لكن تأنيث المذكر، اذهب في التناكر و الأغراب**"[6]

فتأنيث المذكر و تذكير المؤنث يدخل ضمن الاستعمال المجازي، و ما المجاز إلا ضرب من الاتساع في المعنى، و منه أيضا قوله تعالى في سورة يوسف:" **يَلْتَقِطْهُ بَعْضُ السَّيَّارَةِ** "{يوسف، 10} بالتاء فأنث المذكر تبعا للمعنى فقال الزمخشري: "**و تأنيث الجمع ليس بحقيقي ولذلك اتسع فيما اسند إليه إلحاق العلامة و تركها...**"[7] و من تذكير

---

(1)- الكتاب، سيبويه ج1 ، ص22

(2)- الاتساع في المعنى في تفسير السعود، سوسن خلدون، ص 96

(3)- الخصائص، ابن الجني، ج2، ص411

(4)- صاحبي في فقه اللغة ص 196

(5)- الاتساع في المعنى في تفسير أبي السعود، ص96

(6)- الخصائص،ج2، ص415.

(7)- نقلا عن : الاتساع في المعنى في تفسير أبي السعود، ص96

المؤنث قوله تعالى : "**وَقَالَ نِسْوَةٌ**"[1] ، فجاء التذكير على إرادة الجمع من المؤنث فلم تلحق فعله التاء لان تأنيثه غير حقيقي"[2] ، فالمقصود هو قليل من النسوة و لو أراد جماعة النساء الكثر لقال " قالت نسوة" وبالتالي التذكير و التأنيث مرتبط بمسالة السياق هذا الأخير هو الذي يحدد مقصود المتكلم من خلال الصيغ التي ترد فيه و هذا يدل على اتساع اللغة بمفرداتها و صيغها ملائمة للتعبير عن المعاني التي تتضمنها. [3].

هذا الباب – المؤنث و المذكر – من الأبواب الواسعة في العربية فقد تكلم عنه القدماء و المحدثون و ارجعوا السبب في ذلك إلى اختلاف لغات العرب و الذي هو سبب أيضا في تعدد القراءات القرآنية و تعدد وجوه الإعراب.

خامسا: النظم

بعدما تطرقنا لمواطن الاتساع في مجال نحو المفردات و متن اللغة الناتج عن الاشتقاق والترادف و المشترك اللفظي الخ) ، ننتقل إلى مستوى أخر يخص التركيب و الاستعمال متمثلا في النظم الذي أرسى قواعده عبد القاهر الجرجاني و الذي بعد يحق – أي النظم– المجال الخصب الذي تتضح فيه مظاهر الاتساع و تتجلى من خلال ما تقدمه المباحث الفرعية التي تنضوي تحته كالتقديم و التأخير، و الحذف و القصر و الخبر و الإنشاء و سائر ضروب المعاني ضف إلى ذلك الجانب الجمالي التصويري الناتج عن كل ما تقدمه مباحث علم البيان و على رأسها المجاز الذي يعدل إليه عن الحقيقة لمعان ثلاثة كما وضحها ابن الجني منها "الاتساع" إلى جانب التوكيد و الشبيه.

---

(1)- سورة يوسف ، الآية 30.

(2)- الاتساع في المعنى في تفسير أبي السعود،ص97

(3)- المرجع نفسه،ص98

و ما يمكن التأكيد عليه هو أن الجرجاني يربط النظم بالمعاني النحوية باعتبار أن "النحو عنده هو الذي يفتح الألفاظ المغلقة على معانيها، و هو المعيار الذي يعرف به فضل كلام على كلام، و هو مقياس الصحة من السقامة في الفكر، كذلك فان معرفتنا قواعد لغة من اللغات تختلف عن قدرتنا على إدراك الدقائق و الأسرار و الخصائص التي ينفرد بها معنى عن أخر والتي لا تسلم نفسها لكل من اقتدر على قواعد اللغة و نحوها و صرفها و إنما يستطيع إدراك ذلك من يراها رؤية لا تقف عند حدود المنطق و النحو، كذلك لابد من الرؤية و الفكر للوصول إليها، لكي يسبر أغوار اللغة و يتعمق بما فيها من قوى شعورية و خيالية هي سر عظمتها" [1]

فاللغة بمثابة المرآة العاكسة لنفسية المتكلم بكل ما فيه من خيال و إحساس و فن، فلو وقفت اللغة على حدود نقل الفكر، لما كان هناك داع لان تعرض المزية في الكلام، و وان يندرج في سلم القيم بتفضيل بعضه بعضا

ولابد لنا أن نشير إلى أن التركيب النحوي له معنى أول يدل على ظاهر الوضع اللغوي، و له معنى ثان، و دلالة إضافية تتبع المعنى الأول. وهذا المعنى الثاني وتلك الدلالة الإضافية هي المقصد و الهدف من البلاغة، " وقد جهد عبد القاهر في سبيل هذا الهدف و شقي في الوصول إلى ذلك الغرض حتى خرج بقاعدة لا تختلف و قانون لا يقبل النقض و هو أن دقة النظم و البلاغة و البراعة، و البيان كامنة في معاني النحو، مطوية في التركيب اللغوي"[2]

و لتوضيح ذلك حاولنا التركيز على زاوية معينة في بابين هما : "علم المعاني"

---

(1)- نظرية النظم عند عبد القاهر الجرجاني، مقدمتها – أركانها – قيمتها، خالد بن الربيع الشافعي، كلية المعلمين في جازان، د.ط.د.ت، ص19

(2)- التراكيب النحوية من الوجهة البلاغية عند عبد القاهر، عبد الفتاح لاشين، دار المرية، الرياض، المملكة العربية السعودية، د–ت، ص06

"علم البيان"، ففي الباب الأول عالجنا موضوع التقديم و التأخير، أما الباب الثاني ركزنا فيه على المجاز و علاقته بالاتساع، مع العلم أن الدراسة كانت عبارة عن إشارات خفيفة ومجموعة نقط وذلك لأننا خصصنا مبحثا خاصا بالنظم عند عبد القاهر الجرجاني سنقف عليه في الفصل الأخير

و إنما كان الهدف من هذا الجزء في المبحث – النظم- هو إبراز و توضيح أن التراكيب النحوية الصحيحة و الأساليب اللغوية السليمة سيتبعها حتما معان ثانية ودلالات إضافية، مما يثبت مدى اتساع اللغة العربية و مدى شجاعتها على الصمود إمام كل هذه المعاني الإضافية ومدى استيعابها لها.

I . علم المعاني و موضوع الاتساع:

علم المعاني باب واسع في اللغة العربية يشتمل على كل ما يتصل بسلامة المعنى و استقامته من حيث وجوه الأداء السليمة في تبليغ المقاصد و الأغراض و ستختار من بين الفروع الكثيرة التي تندرج تحته موضوع التقديم و التأخير لما له من دلالة قوية في موضوع الاتساع.

التقديم و التأخير نموذجا:

يتعلق موضوع التقديم و التأخير في الكلام العربي بالأسلوب أكثر منه بالتركيب ذلك انه احد أساليب البلاغة، أتوا به دلالة على تمكنهم في الفصاحة و ملكتهم في الكلام وانقياده لهم [1]

(1)- ظاهرة التوسع في المعنى في اللغة العربية، بلقاسم بلعرج (ابن احمد)، مجلة التراث العربي، العدد 105 اتحاد الكتاب العرب بدمشق، سوريا، 1428هـ 2007 م ، ص180

ولعله راجع إلى ما تتميز به اللغة العربية عن باقي اللغات بحرية اكبر في ترتيب مفرداتها لأجل ظاهرة الإعراب التي احتفظت بها منذ عهودها الأولى،و قد درس النحاة العرب مواقع الكلمات في الجملة بعضها من بعض من حيث المستوى الصواب و أطلقوا عليها (الرتبة المحفوظة) أي راعوا فيها مراتب الكلام كمجيء العمدة قبل الفضلة و المبتدأ قبل الخبر، و المضاف قبل المضاف إليه...، بينما أطلقوا اصطلاح (الرتبة غير المحفوظة) على المواقع التي يسمح فيها بحرية تقديم بعض أجزاء الجملة على بعض، إي يكون فيها للمتكلم الحرية في تغيير مواقع الكلمات داخل السياق وفق قواعد لغوية مقررة [1]

و قد سار البلاغيون على خط النحاة العرب إلا أنهم ركزوا على (الرتبة غير المحفوظة) لما فيها من خروج من الأصل وعدول عنه لدواع فنية و جمالية، و هو مدار علم البلاغة فرأوا – عكس النحاة– أن التقديم لا يكون أحيانا على نية التأخير[2] .

وهو ما يفهم منه أنهم يتوجهون إلى الخروج من الأصل لما في ذلك من قيم جمالية و إن الشيء قد ينقل من حكم إلى آخر لغرض أو لمعنى يريده المتكلم .

و لعلهم انطلقوا في ذلك من عبارة سيبويه «...كأنهم إنما يقدمون الذي بيانه أهم لهم ، و هم ببيانه أغنى و إن كانا جميعا يهمانهم يعنيانهم »[3] و من الأمثلة القرآنية التي يمكن الاستدلال بها في هذا الموضوع قوله تعالى**ذَٰلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ قَلْبِ مُتَكَبِّرٍ جَبَّارٍ** " غافر الآية 35. لكن القرآن غير موضع المتضايقين (كل وقلب) فجعل المضاف مضافا إليه لفائدة لا يؤديها التعبير المفترض و بذلك يكون قد أفاد معنيين : أولهما : :دلالته على الشمول و هو طبعه على قلب المتكبرين عموما ، و من ثم يشمل قلب كل متكبر جبار ، و هو ما يستشف من الآية بداءة ، و قد ورد عن الالوسي قوله :" الظاهر أنا عموم (كل)

(1)- المرجع السابق، ص 180
(2)- نفسه، ص180
(3)- المرجع نفسه، ص180

منسحب على المتكبر و الجبار أيضا فكأنه اعتبر أولا إضافة (قلب) إلى ما بعد ثم اعتبرت إضافته إلى المجموع " [1]»[2].

ثانيهما : دلالته على الشمول أيضا،لكنه يخص هذه المرة القلب كله لا جزأه، فيكون الطبع مستغرقا كل القلب و كل قلوب المتكبرين الجبابرة عموما لا يدع شيئا منها ، ومن ذلك يكون هذا التعبير قد أفاد المعنيين معا و لو جاء بالتعبير المفترض لأفاد استغراق الجبابرة و لا يفيد استغراق القلب كله [3] .

و منه كذلك قوله تعالى " **وَجَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ الْجِنَّ**" الأنعام الآية 100 لقد استوقفت هذه الآية الكثير من العلماء ، و اختلفوا في إعراب كلمة (الجن) و ما ترتب عليها من اختلاف في المعنى و توسيعه ، فمنهم من يعدها مفعولا أول (وشركاء) مفعولا ثانيا ، و منهم من يعدها بدلا من شركاء و منها من يعدها بالجر [4].

و لا شك في أن هذا التعدد في الإعراب و في القراءة ، هو تعدد في المعنى و توسع فيه ،وكل راجع إلى التقديم و التأخير ، و يبدوا لنا أنم عبد القاهر الجرجاني خير من تناولها بالشرح والتوضيح و كفى بذلك دليلا .

يقول :" و مثل ذلك قوله تعالى :"**وَجَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ الْجِنَّ**" ليس بخاف أن في تقديم الشركاء حسنا و روعة و مأخذ من القلوب أتت لا تجد شيئا منه إن أنت أخرت فقلت : و جعلوا الجن شركاء لله ، و أنك ترى حالك حال من ثقل عن الصورة المبهمة والمنظر الرائق و الحسن الباهر إلى الشيء العقل الذي لا تحلى منه بكثير لمائل ، و لا تسير النفس به إلى حاصل و السبب في أن كان ذلك كذلك هو أن للتقديم فائدة شريفة و معنى

(1)–نقلا عن الجملة العربية و المعنى لفاضل صالح السامرائي ، دار ابن حزم ، بيروت ، ط1، 2000، ص190.
(2)–ظاهرة التوسع في المعنى ، بلقاسم لعرج، ص180.
(3)– الجملة العربية و المعنى ، ص190.
(4)– نقلا عن ظاهرة التوسع في المعنى ، بلقاسم لعرج، ص180.

جليلا لا سبيل إليه مع التأخير بيانه أنا و إن كنا نرى حبله المعنى و محصوله أنهم جعلوا الجن شركاء و عبدوهم مع الله تعالى ، و كان هذا المعنى يحصل مع التأخير حصوله مع التقديم فإن تقديم الشركاء يفيد هذا المعنى و يفيد معه معنى أخر ، و هو ما كان ينبغي أن يكون لله شريك لا من الجن و لا من غير الجن ، وإذا أخر فقيل : جعلوا الجن شركاء لله ، لم يفد ذلك و لم يكن فيه شيء أكثر من الإخبار عنهم بأنهم عبدوا الجن مع الله تعالى فأما إنكار أن يعبد مع الله غيره و أن يكون له شريك من الجن و غير الجن ، فلا يكون غنى اللفظ مع تأخير الشركاء دليل عليه ، و ذلك أن التقدير يكون مع التقديم أن (شركاء) مفعول أول لجعل و (لله) في موضع المفعول الثاني و يكون (الجن) على كلام ثان و على تقدير أنه كأنه قيل فمن جعلوا شركاء الله تعالى ؟ فقيل الجن .

و إذا كان التقدير في (شركاء) أنه مفعول أول و (الله) في موضع مفعول الثاني وقع الإنكار على كون شركاء الله تعالى على الإطلاق من غير اختصاص شيء دون شيء وحصل من ذلك أن اتخاذ الشريك من غير الجن قد دخل ، في الإنكار دخول اتخاذه من الجن ،لأن الصفة إذا ذكرت مجردة غير مجزأة على شيء كأن الذي يعلق بها من النفي عاما في كل ما يجوز أن تكون له الصفة ،فإذا قلت : ما في الدار كريم و كنت نفيت الكينونة في الدار عن كل من يكون الكرم صفة له .

و حكم الإنكار أبدا حكم النفي ، و إذا أخر فقيل:و جعلوا الجن شركاء لله ،كان (الجن) مفعولا أول و الشركاء مفعولا ثانيا ، و إذا كان كذلك كان الشركاء مخصوصا غير مطلق من حيث كان محالا أن يجري خبرا على الجن ، ثم يكون عاما فيهم و في غيرهم وإذا كان كذلك احتمل أن يكون القصد بالإنكار إلى الجن خصوصا أن يكونوا شركاء دون غيرهم ، جل الله تعالى من أن يكون له شريك و شبيه بحال .

فانظر الآن إلى شرف ما حصل من المعنى بأن قدم الشركاء و اعتبره فإنه ينبهك لكثير من الأمور ، و بذلك على عظم شأن النظم ، و تعلم به كيف يكون الإيجاز به و ما صورته و كيف يزداد في المعنى من غير أن يزاد في اللفظ ، إذ قد ترى أن ليس إلا تقديم وتأخير ، و أنه قد حصل لك بذلك من زيادة المعنى ما أن حاولته مع تركه لم يحصل لك واحتجت إلى أن تستأنف له كلاما نحو أن تقول : و جعلوا الجن شركاء لله ، و ما ينبغي أن يكون لله شريك لا من الجن و لا من غيرهم " [1].

ثم لا يكون له إذا عقل من كلامين من الشرف والفخامة ومن كرم الموقع في النفس ما تجده له الآن وقد عقل له من هذا الكلام الواحد [2].

وخلاصة القول: يتبين من هذه النماذج القرآنية أن باب الاتساع أو ظاهرة التوسع في المعنى أكثر من أن يحاط به في اللغة العربية عموما وفي لغة القرآن خصوصا ذلك أن فيها من المرونة والقدرة على التبدل والتحول في الصيغ والتراكيب وتوليد المعاني والتوسع فيها بطرائق فنية تصل أحيانا إلى درجة الإعجاز.

فهي تأتي أحيانا بالكلمة أو بالعبارة محتملة أو جامعة أكثر من معنى ضمن أساليب تعبيرية فيها من الدقة ما يعجز الإتيان بمثله أساطين اللغة والبيان

II . علم البيان وموضوع الاتساع:

علم البيان هو الأخر باب واسع من أبواب البلاغة به يحسن الكلام من جهة المعنى وقد أدرج البلاغيون تحته فروعا كثيرة كان المجاز بأنواعه المختلفة أكثر شمولا في الدلالة على معنى التوسع لما فيه من تعدد وجوه الحذف وقد اخترنا ها الضرب من المجاز بمفهومه العام لتوضيح مواطن الاتساع

(1)- دلائل الإعجاز ، عبد القاهر الجرجاني، تصحيح محمد رشا رضا ، دار المعرفة ، بيروت ، 1987، ص 221-223.
(2)- دلائل الإعجاز ، عبد القاهر الجرجاني ، ص321-323

المجاز (نموذجا):

المجاز فن بلاغي قديم عرفه العلماء واستعملوه في كلامهم وجرى على ألسنتهم فاستعمله الشاعر والناشر، فهو من أحسن الوسائل البيانية التي تهدي إليها الطبيعة لإيضاح المعنى إذ به يخرج المعنى متصفا بصفة حسية، تكاد تعرضه على عيان السامع[1].

و المجاز هو استعمال اللفظ في غير ما وضع له بقرينة دالة[2].، وهذا اللفظ يكون دالا على المعنى الذي وضع له دلالة أبلغ من دلالة اللفظ الموضوع له أصلا[3]، وهذا ما أيده البلاغيون إذ "أن أرباب البلاغة و جهابذة أهل الصناعة مطبقون على أن المجاز في الاستعمال أبلغ من الحقيقة و أنه يلطف الكلام و يكسبه حلاوة ويكسوه رشاقة"[4].

. فالمجاز يوسع المعنى إذ "يعد –المجاز– وسيلة فنية لإثراء الدلالة و تحقيق القوة التعبيرية على مستوى التركيب و النص، إذ يقوم على أساس التغيير في الدلالة بنقل اللفظة من معناها الذي وضعت له إلى معنى آخر لعلامة بينهما مع وجود قرينة تمنع من إرادة المعنى الأصلي..... و مما لا شك فيه أن الكلمة المجازية مهما اشترط البلاغيون عدم إرادة معناها الأصلي في الجملة فهي في وضعها الجديد ذات علاقة وثيقة به حتى أن البلاغين المتأخرين عدوا هذه العلاقات و ضبطوها وضربوا لها الأمثلة التي تكشف عنها عندما تسهم في التوسع في أ وضاع اللغة وثراء الدلالة وقوة العبارة مما تبين عنه مفارقات العلاقة المعجمية من دلالات و إيحاءات و لذلك قيل:" المجاز أبلغ من الحقيقة"[5].

---

(1)– التوسع في كتاب الأصول في النحو لأبي بكر السراج ، صادق فوزي ، كلية الآداب ، الجامعة المنتصرة ، بغداد ، 2004، ص92.

(2)– المجاز و أثره في الدرس اللغوي ، محمد بدري عبد الجليل ، دار الجامعات المصرية ، الإسكندرية ، 1975، ص42.

(3)– المرجع نفسه ، ص45.

(4)– التوسع في كتاب الأصول في النحو لأبي بكر ابن السراج ، صادق فوزي ، ص99.

(5)– المرجع نفسه ، ص100.

وقد جعل عبد القاهر الجرجاني المجاز من بين آليات الاتساع في القول، وذلك في قوله :"أنك ذكرت الكلمة و أنت لا تريد معناها، ولكن تريد معنى ما هو ردف له أو شبيه فتجوزت بذلك في ذات الكلمة وفي اللفظ نفسه، وإذ قد عرفت ذلك فاعلم أن في الكلام مجازا على غير هذا السبيل، وهو أن يكون التجوز في الحكم يجري على الكلمة فقط، وتكون الكلمة متروكة على ظاهرها، ويكون معناها مقصودا في نفسه و مرادا من غير تورية و لا تعريض[1].

وبهذا فالكلام عند الجرجاني نوعين، نوع تصل منه إلى المعنى و الغرض بدلالة الفظ وحده بدون تأويل فالمخاطب يتوصل إلى المعنى السطحي بكل بساطة ونوع آخر يكون فيه عدول مما يفرض على المخاطب أعمال فكره عن طريق التأويل حتى يتسنى له فهم المراد والمقصود وهو ما يعرف عنده بمعنى المعنى لأن المخاطب يتنقل من المعنى النحوي الظاهر ليبني معنا جديدا ثانيا يقصده المتكلم وهذا المعنى –أي الثاني– هو ما سعى الجرجاني إلى كشفه والتقنين له في نظريته النظم حيث اعتنت بدور الذي يلعبه السياق في إزالة اللبس والحجاب عن المعاني، وكيف أن اللفظة الواحدة لها من المعاني ما لا يحصى حتى تِلف و تنظم داخل تركيب معين وبصورة خاصة.

وهذه الفكرة هي ما وضحها الجرجاني في كتابه دلائل الإعجاز بقوله : " الكلام على ضربين: ضرب أنت تصل منه إلى الغرض بدلالة اللفظ وحده وذلك إذا قصدت أن تخبر عن "زيد" مثلا بالخروج على الحقيقة، فقلت "خرج زيد"، و بالانطلاق عن "عمرو" فقلت " عمرو منطلق " و على هذا القياس، وضرب آخر أنت لا تصل منه إلى الغرض بدلالة اللفظ وحده، و لكن يدل اللفظ على معناه الذي يقتضيه موضوعه في اللغة، ثم تجد لذلك المعنى دلالة ثانية تصل بها إلى الغرض و مدار هذا الأمر على " الكتابة" و" الاستعارة" و"التمثيل"

(1)– دلائل الإعجاز ، عبد القاهر الجرجاني ، تح محمود شاكر ، ط1، دار المدني ، السعودية ، 1992، ص293.

وقد مضت الأمثلة فيها مشروحة مستقصاة، أو لا ترى أنك إذا قلت:" هو كثير الرماد القدر" أو قلت " طويل النجاد"أو قلت في المرأة "توؤم الضحى" فأنك في جميع ذلك لا تفيد غرضك الذي تعني من مجرد اللفظ، ولكن يدل الفظ على معناه الذي يوجبه ظاهره، ثم يعقل السامع من ذلك المعنى على سبيل الاستذلال،معنى ثانيا و غرضك، كمعرفتك من " كثير رماد القدر" أنه مضياف، و من "طويل النجاد " أنه طويل القامة.. [1].

و هذا فالمعاني تختلف من سابق لأخر و من تركيب لأخر مع مراعاة نفسية و ذوق المتكلم الذي يزيد المعاني رونقا خاصا يختلف من أديب لأخر و من نص لأخر .

و بالتالي يمكن القول أن نظرية النظم التي أرسى قواعدها الجرجاني هي المجال الأكبر الذي تتضح فيه صور الاتساع من خلال التقديم و التأخير و الحذف ، و الانتقال من معنى إلى لأخر بأسلوب فني متميز دون الإخلال بقواعد هذه اللغة .

هذه مجرد لمحة بسيطة و صورة عابرة عن الاتساع في النظم لأننا سنعاود دراسة هذا الجزء في مبحث مستقل كما ذكرنا أنفا .

(1)- المصدر السابق ، ص 262.

الفصل الثاني : ظاهرة الاتساع في الدرس النحوي العربي القديم

المبحث الأول : الاتساع عند سيبويـــــه (فـي كتـــاب الكتـاب)

المبحث الثاني : الاتساع عند ابن السراج (في كتاب الأصول العربي)

توطئة:

لقد ترك لنا علماؤنا الأفذاذ تراثا ضخما غنيا نفتخر به و ننهل من ورده و نستزيد منه، و الباحث في هذا التراث لاشك انه يقف على دور لهذا البحر لا تنضب ، و يلمس أسراره و روعته، و تتجلى لديه ملامح التفكير النحوي الثاقب عند علماء العربية و أبعاده التي تمخضت عنها ظواهر نحوية و لغوية متعددة بنيت عليها دعائم الدرس النحوي.

و من هذه الظاهرة (ظاهرة الاتساع)، و هي ظاهرة بارزة مهمة لا يكاد يخلو من ذكرها كتاب نحوي أو لغوي، إذ تشمل مستويات الدرس اللغوي عامة و الدرس النحوي خاصة.

و من بين العلماء الذين حاولا دراسة هذا الفن الراقي (الاتساع) الذي تستحدث به عقول الأذكياء و تستثار به ألباب الألباب

نجد سيبويه

و خاصة في كتابه الكتاب

و ابن السراج في أصوله

و هذا ما سنحاول الوقوف عليه في ثنايا هذا الفصل

المبحث الأول: الاتساع عند سيبويه

لم يترك سيبويه للمكتبة العربية غير مصنف واحد جمع بين دفتيه كلام العرب ألا و هو المؤلف الذي اشتهر باسم (الكتاب) و نال من الانتشار و الشهرة مكانة لم ينلها مصنف آخر ، لتفرده بما حوى حتى سموه (البحر) و (قران النحو)

اهتم القدماء و المحدثون بالكتاب و درسوه و ناقشوه و ذكروا آراءهم فيه و بينوا قيمته و أثره، و لم يحظ أي كتاب قبله و لا بعده بمثل ما حظي به كتاب سيبويه من اهتمام الدارسين و المعنيين و المتتبعين على اختلاف اتجاهاتهم و عصورهم إذ لم يمر عصر منذ ظهوره إلا ونجد فيه من درسه أو كتب عنه، أو شرحه أو شرح شواهده و بين قيمته و علق عليه.

و الذي يتعامل مع كتاب سيبويه يجد فيه علوما كثيرة فالكتاب لم يقتصر على النحو و الصرف، بل اشتمل على أصوات لغوية و فيه مباحث بلاغية تشمل على أبحاث في علم المعاني و البيان و البديع وفيه مباحث في الأدب و النقد و فيه مباحث في القراءات والتجويد و فيه مباحث في اللهجات العربية، كما فيه مباحث في علم العروض و القوافي...، فالذي يقول بأن (الكتاب) كتاب نحو و صرف فقط هو من قبيل التغليب و إلا فهو البحر بما عليه يشتمل و ما في بطنه يضم[1].

قال الدكتور حسن عون : " أننا نظلم الكتاب حينما نعتبره كتابا في النحو كما أننا نظلم النحو نفسه حينما نفهمه بذلك المعنى الضيق الذي يتعارف عليه الناس في عصرنا هذا ... فكتاب سيبويه يمثل النحو في شبابه الزاهر، و يرويه لنا في صوره الخصبة الأولى"[2].

---

(1)- التوسع في كتاب سيبويه، عادل هادي حمادي العبيدي، مكتبة الثقافة الدينية، العراق،2004،ص01

(2)- المرجع نفسه ص01

لقد صنع سيبويه للنحو ما لم يصنعه احد، حتى لبعد بحق أستاذه الأول و إمامه المقدم، و بعد كتابه معيار العربية و ليس أدل على ذلك من كثرة من تناوله من أئمة اللغة وأعلام العربية بالبحث و الدرس و النقد و التأليف[1].

فهو كنز من كنوز العربية، و ليس لنحوي قديم أو حديث كتاب يجاري كتاب سيبويه أو يدانيه، كما شهد بذلك القدماء من بصريين و كوفيين و بغداديين و أندلسيين[2].

و ما يزال الكتاب جديدا على الرغم مما ألف بعده من كتب و أسفار و ما يزال منيعا صافيا لمن يريد دراسة النحو و الصرف و الأصوات و أصولها، و غيرها من علوم العربية.

و لما كان كتاب سيبويه قد جمع و حوى كل هذه العلوم فليس بدعا إذا كان يضم إليها إشارات متناثرة على صفاته هنا و هناك من ألفاظ (التوسع)

و ما أشتق منه ليدلنا على أساليب و أنماط الكلام العربي شريطة أن لا تخرج عن سنن العربية و نظامها

و تجدر بنا الإشارة إلى أن هذه الظاهرة (أي التوسع) لدى سيبويه لم تقتصر على الجانب النحوي فحسب بل تجلت عنده في كل مستويات اللغة من صوت و صرف و نحو وبلاغة و قد جمع الدكتور عادل العبيدي كل هذه المستويات في مؤلف خاص تحت عنوان "التوسع في كتاب سيبويه" و هذا ما جعلنا نقتصر الدراسة على جانب معين ألا و هو الحذف باعتباره الباب الأكبر الذي يتجلى فيه الاتساع، كما أنه سمة من سمات العربية

(01) المرجع السابق، ص02

(02) المرجع نفسه، ص02

يلطف الكلام، و يكسبه حلاوة و يكسوه رشاقة، فالحذف باب دقيق المسلك، لطيف المأخذ، عجيب الأمر، شبيه بالسحر فترك الذكر أفصح من الذكر[1].

ولكن قبل أن نلج إلى لب الموضوع ألا و هو(الاتساع بالحذف و بدونه) علينا أولا أن نعرج على بعض التعريفات و الأفكار الخاصة بالتوسع التي وردت في الكتاب حتى يتضح الأمر أكثر للقارئ

الاتساع مفهومه و دلالته:

الاتساع افتعال من السعة التي هي خلاف الضيق، و الافتعال هنا للمطاوعة يقال وسّعته فاتسع، و الأصل كما هو معلوم أوسع، وقعت الواو بعد كسر فأبدلوا منها لضعفها -كما يقول سيبويه- "حرفا اجلد منها لا يزول، و كان هذا أخف عليهم"[2].

و يستعمل الاتساع و التوسع و السعة بمفهوم واحد لدى النحويين، و أول من استخدم مصطلح الاتساع هو سيبويه في الباب الذي نزجم له بقوله" هذا باب استعمال الفعل في اللفظ لا في المعنى لإتباعهم في الكلام و الإيجاز و الاختصار"[3].

ثم أورد بعد ذلك أمثلة لتوضيح هذه الترجمة فقال:"فمن ذلك أن تقول على قول السائل : كم صيد عليه؟ و (كم) غير ظرف لما ذكرت لك من الاتساع و الإيجاز فتقول: صيد عليه يومان، و إنما المعنى : صيد عليه الوحش في يومين، و لكنه اتسع و اختصر ولذلك وضع السائل (كم) غير ظرف

(1)- الاتساع عند ابن شجري، سعد الدين إبراهيم مصطفى، مجلة التراث العربي تصدر عن اتحاد الكتاب العرب بدمشق، العددان: 130،131، 2013 ص300

(2)- مفهوم الاتساع و ضوابطه في علم النحو، بهاء الدين عبد الوهاب عبد الرحمان، شبكة الالوكة، د.ط.دت،ص12

(3)- الكتاب، سيبويه، تح: عبد السلام هارون، ط1، بيروت، د ت، دار الكتب العلمية، ص334 مفهوم الاتساع و ضوابطه في علم النحو، بهاء الدين عبد الوهاب عبد الرحمان، شبكة الالوكة، د.ط.دت،ص12

و من ذلك أن تقول : كم ولد له ؟ فيقول: ستون عاما، فالمعنى : ولد له الأولاد وولد له الولد ستين عاما، و لكنه اتسع و أوجز، و من ذلك أن تقول كم سير عليه؟ و (كم) غير ظرف، فيقول يوم الجمعة و يومان، ف (كم) هاهنا بمنزلة قوله: ما صيد عليه؟ وما ولد له من الدهر و الأيام؟ فليس (كم) ظرفا كما أن (ما) ليس بظرف".

و معنى كلام سيبويه أن المتكلم له أن يتسع في استعمال تراكيب اللغة فبدلا من أن يقول : كم يوما صيد عليه؟ و كم في هذا المثال ظرف، يجوز أن يخرج (كم) من الظرفية و يجعله مبتدأ فيقول: كم صيد عليه؟ فظاهر هذا السؤال أنه سؤال عن عدد المصيد من الوحش على الفرس، وهو في الحقيقة سؤال عن المدة التي صيد فيها الوحش والدليل على ذلك، ما قيل في الجواب: صيد عبيه يومان، فجعل الزمان مصيدا في ظاهر اللفظ، و المعنى المراد: صيد عليه الوحش في يومين لكن المتكلم كما يقول سيبويه اتسع واختصر [1].

فالاتساع يعني هنا تغيير المعنى النحوي للكلمة في التركيب، ف (كم) التي كانت ظرفا صارت في حال الاتساع مبتدأ، و كذلك (يومين) انتقلت من الظرفية في قولنا: صيد عليه الوحش يومين، إلى نائبة عن الفاعل في قولنا: صيد عليه يومان و مثل ذلك أيضا (كم) في قولنا: كم عاما ولد له الولد ؟ تكون كم ظرفا، فإذا أردنا الاتساع و قصدنا المعنى نفسه قلنا: كم ولد له ؟ فتصير (كم) مبتدأ، و مثل ذلك جواب هذا السؤال: ولد له الولد ستين عاما، ف (ستين) ظرف زمان يصبح في الاتساع نائب فاعل في قولنا ولد له ستون عاما [2].

نخلص من هذا إلى أن الاتساع تغيير المعنى النحوي لبعض الكلمات دون أن يكون تغيير في المعنى الأصلي لها، و إذ أردنا تحديد معنى الاتساع الذي قصده سيبويه بحسب ما

(1)- مفهوم الاتساع و ضوابطه في علم النحو ، ص 13

(2)- المرجع نفس ، ص 13

مر قلنا: هو تغيير المعنى النحوي للكلمة في التركيب بغية الإيجاز و الاختصار دون أن يؤثر ذلك على المعنى الأصلي للتركيب

و تمضي مع سيبويه – رحمه الله – مزيد من البيان و الإيضاح، حيث يقول "و مما جاء على اتساع الكلام و الاختصار قوله تعالى: وَاسْأَلِ الْقَرْيَةَ الَّتِي كُنَّا فِيهَا وَالْعِيرَ الَّتِي أَقْبَلْنَا فِيهَا [1].

إنما يريد : أهل القرية ، فاختصر و عمل الفعل كما كان عاملا في الأهل لو كان هاهنا

و مثله في الاتساع قوله عز وجل : ﴿وَمَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا كَمَثَلِ الَّذِي يَنْعِقُ بِمَا لَا يَسْمَعُ إِلَّا دُعَاءً وَنِدَاءً ﴾ [2]، فلم يشبهوا بما ينعق، و إنما شبهوا بالمنعوق به، إنما المعنى مثلكم و مثل الذين كفروا كمثل الناعق و المنعوق به الذي لا يسمع و لكنه جاء على سعة الكلام و الإيجاز لعلم المخاطب بالمعنى "[3].

إذا تأملنا هذه الشواهد التي ذكرها سيبويه لبيان مراده من الاتساع نجد أن المعنى النحوي تغير عن طريق الحذف ففي الشاهد الأول تغير المعنى النحوي بكلمة (القرية) من الإضافة إلى المفعولية دون تغيير في المعنى الأصلي المراد و هو اسأل أهل القرية .

و كذلك في قوله تعالى : « و مثل الذين كفروا كمثل الذي ينعق بما لا يسمع إلا دعاء و نداء» تقدير المعنى مثلكم ومثل الذين كفروا كمثل الناعق و المنعوق به الذي لا يسمع فـ« مثل الذين كفروا » في الأصل المقدر معطوف على (مثلكم) و الخطاب للمؤمنين صار في حال الاتساع مبتدأ ، و (كمثل) هو في الأصل خبر للمبتدأ المحذوف (مثلكم)

---

(1)- سورة يوسف الآية 13

(2)- سورة البقرة الآية 171

(3)-ينظر الكتاب ، ج 1 ، ص212.

صار في الاتساع خبرا للمبتدأ الجديد " مثل الذين كفروا " و تغير المعنى النحوي هنا أيضا كان عن طريق الحذف [1].

أما فيما يخص قوله تعالى : « بل مكر الليل و النهار » فقد قدر سيبويه المعنى (بل مكركم في الليل و النهار) و قد ذكر سيبويه في الإشارة إلى (الليل) في الأصل ظرف زمان إذا أسقطنا الجار فقلنا ، مكركم الليل و النهار و قد صار الاتساع ، مكر الليل و النهار حيث جعل الليل مفعولا به و أضيف إليه المصدر بعد أن أضمر الفاعل الذي كان المصدر مضافا إليه فقد انتقل الليل من الظريفية إلى المفعولية و تم الانتقال بدون حذف إلا إذا جعلنا الظرف في الأصل منصوبا بإسقاط حرف الجر (في) ، و أما انتقال الليل من المفعولية إلى الإضافة فتم عن طريق حذف التنوين لأن الأصل أن يقال بعد إضمار الفاعل بل مكر الليل والنهار، على أن الليل مفعول به للمصدر فحذف التنوين و أضيف المصدر إلى المفعوله [2].

فالفرق بين تغيير المعنى النحوي هنا و تغيير المعنى النحوي في الآيات السابقة ، أن التغيير هنا لم يكن عن طريق حذف شيء في حال الانتقال من الظرفية إلى المفعولية ، أما فيما سبق فقد تم التغيير عن طريق حذف اسم و هو المضاف و إقامة المضاف إليه بدلا منه و إعرابه بإعرابه ، لذلك فإن الاتساع الذي هو تغيير المعنى النحوي لمعنى الكلمات في التركيب اللغوي يحدث بحذف و بدون حذف ، أما عن طريق الحذف فقد مّر بعض الشواهد التي كان المحذوف فيها اسما وقد ذكر سيبويه شواهد أخرى كقولهم : بنو فلان يطؤهم الطريق ،أي يطؤهم أهل الطريق و كذلك قولهم أنت أكرم علّي من أن أضربك ، إنما يريد : أنت أكرم علي من صاحب الضرب [3].

---

(1)-مفهوم الاتساع وضوابطه في علم النحو ، ص 15

(2)-المرجع السابق ، ص15.

(3)-الكتاب ، ج1، ص213.

أما الاتساع دون حذف فقد عقد له سيبويه بابين أولهما عن الاتساع في جعل المفعول فيه مفعولا به و الثاني في جعل المفعول المطلق مفعولا به قال في الأول :

«هذا باب جرى مجرى الفاعل الذي يتعداه فعله إلى مفعولين في اللفظ لا في المعنى ، و ذلك قولك : يا سارق الليلة أهل الدار و يقول على هذا الحد : سرقت الليلة أهل الدار فتجري (الليلة) على الفعل* أي سعة الكلام كما قال : صيد عليه يومان ، و ولد له ستون عاما ، فاللفظ يجري على قوله : هذا معطي زيد درهما ، و المعنى إنما هو : في الليلة ، و صيد عليه في يومين ، غير أنهم أوقعوا الفعل عليه [1] لسعة الكلام[2]».

و مثل ما أجري مجرى هذا في سعة الكلام و الاستحقاق قوله عّز و جّل: « بل مكر الليل و النهار» فالليل و النهار لا يمكران و لكن المكر فيهما .

فإن نونت فقلت : يا سراقًا الليلة أهل الدار ، كان حدّ الكلام أن يكون (أهل الدار) على (سارق) منصوبا ويكون الليلة ظرفا ، لأن هذا موضع انفصال و إن شئت أجريته على الفعل * على سعة الكلام [3] ».

تلخيص كلام سيبويه أن (الليلة) في قولنا : سرقت الليلة أهل الدار ، يجوز أن تكون مفعولا بها للفعل (سرق) و يكون (أهل الدار) مفعولا أيضا ، و يكون الفعل قد تعدى إلى مفعولين و المعنى باق على أن (الليلة) ظرف زمان وقع فيه الفعل و يجوز أن يكون مبقاة على الظرفية الزمانية غير مجراة على الفعل ،أعني ألا تكون مفعولا بها ، و لا يكون ثم اتساع .

---

*- هذه العبارة تعني ، تجعل الليلة مفعولا بها

(1)-أي جعلوه مفعولابه

(2)-الكتاب ، ج1، ص 175. 176.

*-أي إن شئت جعلته مفعولا به .

(3)-الكتاب ، ج 1 ، ص 175-176.

أما في الباب الثاني فقال : « هذا باب ما يكون من المصادر مفعولا فيرتفع كما ينتصب إذا شغلت الفعل به ، و ينتصب إذا اشتغلت الفعل بغيره ، و إنما ذلك على أن تبين أيّ فعل فعلت ، أو توكيدا فمن ذلك قولك على قول السائل : أي سير سير عليه ؟ فتقول : سير عليه سير شديد و ضرب به ضرب ضعيف ، فأجريته مفعولا و الفعل له .

فإن قلت : ضرب به ضربا ضعيفا ، فقد شغلت الفعل بغيره عنه و كذلك جميع المصادر ترتفع على أفعالها إذا لم تشغل الفعل بغيرها ، و نقول سير عليه أيّما سير سيرا شديدا كأنك قلت سر عليه بغيرك سيرا شديدا وتقول : سير عليه سيرتان أيما سير ،كأنك قلت سير عليه بغيرك ، أيما سير ، فجرى مجرى ، ضرب زيد أيما ضرب ، وضرب عمرو ضربا شديدا .

و تقول على قول السائل –كم ضربة ضرب به ؟ و ليس في هذا إضمار شيء سوى (كم) ، و المفعول (كم) ، و المفعول (كم) فتقول : ضرب ضربتان ، سير عليه سيرتان،لأنه أراد أن يبين له العدة فجرى على سعة الكلام و الاختصار ، و إن كانت الضربتان لا تضربان ، و إنما المعنى كم ضرب الذي وقع به الضرب من ضربة ، فأجابه على هذا المعنى ، و لكنه اتسع و اختصر " [1]

و معنى هذا أن المفعول المطلق يجوز أن يتسع فيه فيجعل مفعولا به و ينوب عندئذ عن الفاعل كما ينوب عنه المفعول به ، سواء كان المفعول المطلق مبنيا لنوع الفعل مبنيا للعدد بالأخلاق ، أو مؤكدا للفعل على خلاف فيه كما يأتي إن شاء الله فالتوسع هنا يكون بتغيير المعنى النحوي للكلمة دون حذف ، فقولهم : سير عليه سير شديد لا يختلف في المعنى عن قولهم : سير عليه سيرا شديدا ، لكنك في الأول شغلت الفعل (سير) بالمصدر سير فارتفع على أنه نائب عن الفاعل ،و في الثاني نفي المصدر منتصبا على الأصل قبل الاتساع لأنك

(1)-المصدر السابق ، ج1، 228-230

شغلت الفعل (سير) بغير فجعلت الجار و المجرور نائبا عن الفاعل وإنابة الجار و المجرور عن الفاعل أيضا يعد في الاتساع [1].

جملة القول أن الاتساع عند سيبويه يعني التصرف في العبارة بتغيير المعنى النحوي لبعض الكلمات بحذف أو دون حذف بغية الإيجاز و الاختصار و اعتمادا على أن المعنى الأصلي للعبارة مفهوم عند المخاطب و لا يحدث هذا التغيير في المعنى النحوي إشكالا لديه

ثانيا الاتساع بالحذف

أ- الاتساع بحذف التنوين أو النون :

جعلت حذف التنوين من المصدر و اسم الفاعل و المفعول و الصفة المشبهة من باب الاتساع لأنه استحقاق و إيجاز ، و المعنى باق على ما كان عليه قبل حذف التنوين والاتساع إنما عمدت إليه العرب طلبا للخفة و الإيجاز و الاختصار ، و قد أشار سيبويه إلى ذلك بقوله : « و اعلم أن العرب يستخفون فيحذفون التنوين و النون،و لا يتغير من المعنى شيء و ينجز المفعول لكن التنوين من الاسم ، فصار عمله عليه الجر ، و دخل في الاسم معاقبا للتنوين ، فجرى مجرى:غلام عبد الله في اللفظ لأنه اســـم و إن كان ليـــس مثله في المعنى »[2]

و ليس بغيركن التنوين إذا حذفته مستخفا شيئا من المعنى ، ولا يجعله معرفة، فمن ذلك قوله عز و جل : « كل نفس ذائقة الموت » [3] و « إنا مرسلـــوا الناقة » [4]

---

(1)- مفهوم الاتساع وضوابطه في علم النحو ، ص21.

(2)-المرجع نفسه ، ص43

(3)-سورة آل عمران ، الآية 185.

(4)-سورة القمر الآية 27

« و لو ترى إذ المجرمون ناكسوا رؤوسهم » [1] و « غير محلي الصيد» [2] فالمعنى معنى « و لا أمين البيت الحرام » [3] ...)» [4].

و لا يختلف المصدر في هذا عن اسم الفاعل ، وقد نص سيبويه على أن إضافة المصدر إلى فاعله أو إلى مفعوله مثل إضافة اسم الفاعل إلى مفعوله من حيث أن المعنى يبقى على حاله قبل الإضافة فقال :« وإن شئت حذفت التنوين كما حذفت في الفاعل [5]و كان المعنى على حاله ، إلا أنك تجر الذي يلي المصدر فاعلا كان أو مفعولا لأنه اسم قد كففت عنه التنوين كما فعلت ذلك بفاعل[6] ، و يصير المجرور بدلا في التنوين معاقبا له ، و ذلك بقولك: عجبت من ضربة زيدا إن كان فاعلا، ومن ضربه زيد إن كان المضمر مفعولا [7]».

و كلام سيبويه حجة على من جعل إضافة المصدر إلى فاعله أو مفعوله إضافة حقيقية ،و هم الجمهور على ما ذكره أبو الحيان ارتشاف الضرب [8] .

و إذا كان مفعول اسم الفاعل ظرفا اجتمع في التركيب اتساعان و ذلك في قول الشاعر :

رب ابن عم لسليمى مشمعل طباخ ساعات الكرى زاد السيل [9]

(1)-سورة السجدة الآية 12.
(2)-سورة المائدة الآية 01.
(3)-سورة المائدة ، الآية 02
(4)-الكتاب ، ج1،ص 165-167.
(5)-يعني اسم الفاعل
(6)-يعني اسم الفاعل
(7)-مفهوم الاتساع و ضوابطه في علم النحو ، ص44.
(8)-المرجع نفسه ، ص44.
(9)-نفسه ، ص44.

فقد جعلت الساعات مفعولا اتساعا ، و أضيف إليها اسم الفاعل للمبالغة (طباخ) بحذف التنوين ، أي حدث تغييران في المعنى النحوي لـ (ساعات) حيث جعلت مفعولا بها أولا ثم جعلت مضافا إليها .

و مثله في اجتماع اتساعين قوله تعالى : « بل مكر الليل و النهار» [1] سواء أجعل من إضافة المصدر إلى الفاعل أم من إضافة المصدر إلى المفعول أي سواء أجعلت الليل ماكر اتساعا أم جعلته ممكورا به .

و يلحق باسم الفاعل في الاتساع حذف التنوين اسم المفعول و الصفة المشبه باسم الفاعل .

و الاتساع بحذف التنوين و النون هي عوض بينها إذا أثني اسم الفاعل و أوسع قياس مطرد [2].

ب- الاتساع بحذف الأسماء :

الاتساع بحذف الاسم يكون في إقامة المضاف إليه بدلا من المضاف و في هذا يقول ابن الشجري :« وأما حذف المضاف و إقامة المضاف إليه مقامه فكثير جدا و ذلك نحو قولهم : صلى المسجد، أي أهل المسجد و منه قول مهلهل بن ربيعة :

نبئت أن النار بعدك أوقدت وسّتب بعدك يا كليب المجلس [3]

أراد أهل المجلس ، و منه " و إلى مدين أخاهم شعيبا " [4] ، أي أهل مدين ومنه قول حميد بن ثور :

---

(1)-سورة سبأ ، الآية 33

(2)-مفهوم الاتساع و ضوابطه في علم النحو ، ص 45.

(3)-المرجع نفسه ، ص 52.

(4)-سورة الأعراف الآية 75.

قصائد يستحلي الرواة نشيدها و يلهو بها من لاعب الحي سامر

يعض عليها الشيخ إبهام كفـــه و يغزي لها احياؤكـــــم المقابـــــر

أي و أهل المقابر »[1]

و الحق أن العرب اتسعت في حذف المضاف و إقامة المضاف إليه مقامة إلى درجة الأشكال أحيانا كقول النابغة :

و قد خفت حتى ما تريد مخافتي علي و عل في ذي المطارة عاقل

أراد : على مخافة وحل

و كقول الأخر و هو أورس بن حجرة :

فهل لكم فيها إلّي فإنني طبيب بما أعيب النطاسي حذيما

ففي هذا البيت موضعان حذف فيهما المضاف أولهما (فيها) لأن التقدير فهل لكم ميل في ردّ المغزى ، و الثاني (حذيما) و الأصل (ابن حذيم) و هو الذي قالوا عنه في المثل أطب من ابن حذيم . [2]

و القياس في هذا أن المخاطب إذا فهم المقصود جاز حذف المضاف و إقامة المضاف إليه بدلا منه ، فإذا قلت جاء زيد و أنت تقصد غلام زيد ، جاز إن كان لدى المخاطب علم بأن زيد لم يجئ ، و أنه ورد منه رسول كما يقال ، جاء الملك و المراد رسول الملك .

(1)-مفهوم الاتساع و ضوابطه في علم النحو ، ص 52.

(2)-المرجع نفسه ، ص53.

و قد جعل من حذف المضاف قيام المصدر مقام ظرف الزمان في قولهم جئت خفوق النجم ، و قدوم الحاج إذ التقدير ، جئت وقت خفوق النجم ، و زمن قدوم الحاج كما ورد في الكتاب ما يشعر بأن قولهم : سير عليه اليوم من باب حذف المضاف والتقدير بسير عليه سير اليوم ،وكذلك الليلة الهلال والتقدير، الليلة ليلة الهلال. (1)

و لكثرة حذف المضاف ، ورد عنهم منه في العبارة المختصرة أكثر من موضع ، كما في قولهم : بنو فلان يطؤهم الطريق ،و التقدير بنو فلاه يطأ أرضهم أهل الطريق ، وربما تكرر حذف المضاف كما حملوا عليه قوله تعالى حكاية عن السامرائي: «فقبضت قبضة من أثر الرسل » (2)

قالوا في تحسيره فقبضت قبضة من تراب أثر حافر ترس الرسول و قالوا في تفسير قوله تعالى :" و ما منعنا أن يرسل بالآيات إلا كراهة وقوع سنة تكذيب الأولين ، أي كراهة أن تكذبوا فيقع عليكم العذاب ، كما وقع العذاب على المكذبين الأولين و سنة الله لا يختلف .

وليس من الاتساع حذف المضاف وإبقاء المضاف إليه على إعرابه كما في قولهم : ما كل سوداء ثمرة ولا بيضاء شحمة لأنه لم يحدث تغيير للمعنى النحوي بحذف المضاف (3).

(1)-المرجع السابق ، ص 54.

(2)-المرجع نفسه ، ص 54

(3)-نفسه ص54.

ثالثا : الاتساع دون حذف .

أ- الاتساع دون حذف في الظروف :

يتسع في الظروف الزمان كلها ماعدا الظروف التي لزمت الظرفية ، و يتسع من ظروف المكان المبهمة ، و يتسع في أسماء الزمان و المكان المشتقة من الفعل بشرط أن يكون العامل فيها الفعل المشتقة هي منه ، أما صفات الظروف التي تنوب عن موصوفاتها فلا يتوسع فيها إلا إذا وصفت ، و إليك كلام أئمة النحو لتوضيح ما أجملت فعن ظروف الزمان يقول ابن السراج رحمه الله :«كل ما كان من أسماء الزمان – يجوز أن يكون اسما و أن يكون ظرفا – فلك أن تنصبه نصب المفعول على السعة ، تقول : قمت اليوم ، و قعدت الليلة و فتنصبه نصب (زيد) إذا قلت ضربت زيدا ، وإذا وقع موقع المفعول جاز أن يقوم مقام الفاعل فيما لم يسم فاعله ، ألا تراهم قالوا: صيد عليه يومان،وولد له ستون عاما» [1].

و حكم ظروف الأمكنة مبهمة مثل حكم الظروف الزمانية المتصرفة كما يقول صاحب الكتاب : «و اعلم أن الظروف من الأماكن مثل الظروف من الليالي و الأيام في الاختصار و سعة الكلام فمن ذلك أن يقول : كم سير عليه من الأرض فتقول فرسخان أو ميلان ...كما قلت يومان و كذلك لو قيل ، كم صيد عليه من الأرض؟ يجري على هذا المجرى و يقال : أي سير عليه ؟ فتقول خلف دارك وقوف دارك ، فإن لم تجعله ظرفا وجعلته على سعة الكلام رفعته »[2]

(1)-الأصول في النحو ، لأبي بكر ابن السراج ، تح : عبد الحسين الفتلي ، ط1، 1415هـ/1985م ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ج1، ص194.

(2)-الكتاب ، ج1، ص 219.

أما صفات ظروف الزمان فلا يتوسع فيها إلا إذا وصفت فلا يقال : سير عليه طويل،فإذا وصفت طويل جاز كقولك : سير عليه طويل من الدهر قال سيبويه :«و إنما جاز حين وصفت و أطلت لأنه ضارع الأسماء ، لأن الموصوفة في الأصل هي الأسماء » [1]

كذلك يتوسع في أسماء الزمان و المكان المشتقة على وزن (مفَعل أو مفعِل) فيقال : ذهب به مذهب ، و سير عليه مبعث الجيوش على ما ذكر سيبويه [2] .

و يتوسع في المصادر التي تقوم مقام ظروف الزمان ، قال سيبويه بعد أن بين وجه النصب في قولهم : سير عليه مقدم الحاج و خفوق النجم : «و إن رفعته أجمع كان غريب كثيرا و ليس هذا في سعة الكلام و الاختصار بأبعد من صيد عليه يومان وولد له ستون عاما » [3] .

أما الظروف التي لا يتوسع فيها فهي ظروف المكان المخصصة كالدار و المسجد والطريق و غير ذلك و ظروف الزمان التي لزمت الظرفية، و قد ذكر منها سيبويه : سحر و سحير ، ضحى ، صباحا ، مساءا ، عشية ، عشاء ، ذات مرة ، بكرة ، ضحوة ، ذات يوم ليلا ، نهارا ، ذا صياح ، و يشترط في عدم الاتساع فيها أن يكون المراد سحر يومك و سحيره و ضحاه و صباحه و مساؤه و عشيته و عشاؤه و ضحوته وليله ونهاره [4].

أما ظروف المكان غير المتصرفة فمنها عند، لدن ، دون ، وسط وسوى [5] .

---

(1)-المرجع السابق ، ج1، ص 228.

(2)-الكتاب ، ج1 ،ص 228.

(3)- المصدر نفسه، ص223

(4)- نفسه ، ص225-226.

(5)-مفهوم الاتساع و ضوابطه في علم النحو ، ص32.

ب- الاتساع في المصادر :

عقد سيبويه للاتساع في المصادر بابا ترجمه بقوله : «هذا باب ما يكون من المصادر مفعولا »[1] ، ذكر فيه أنه يجوز أن يجعل المصدر (أعني المفعول المطلق) مفعولا به ، ومن ثم نائبا عن الفاعل ، و يفهم من كلام سيبويه و أمثلته أن لا يتسع إلا في المصدر المتصرف الذي عمل فيه الفعل و شغل به .

أما المصادر التي لا أفعال لها أو التي هي بدل " من اللفظ بالفعل أو المنتصبة بأفعال لازمة الإضمار فلا يتوسع فيها ، و هل يتوسع في المصدر المؤكد ؟ ظاهر كلامه أنه لا يجوز الاتساع في المؤكد لأنه قال في بداية الباب:«و إنما يجيء ذلك على أن تبين أي فعل فعلت أو توكيدا»[2] .

ثم إنه في أثناء توضيح القاعدة و بالأمثلة و الشواهد ، ضرب أمثلة للمصدر المبين للنوع و المبين للعدد كقولهم : سير عليه سير شديد ، و سير عليه السير ، و ضرب به ضربتان ، أما المؤكد فقد قال عنه :«كذلك إن أردت هذا المعنى (معنى المفعولية) و لم تذكر الصفة ، تقول : سير عليه سيرا و ضرب به ضرب، كأنك قلت ضرب من السير أو سير عليه شيء من السير »[3] .

فاشترط سيبويه أن يكون المصدر موصوفا في التقدير ، فقولهم : ضرب ضرب يجوز إذا قدر بعد المصدر و و صفة و هذا يؤول به إلى المصدر و المبين للفعل أما المصدر المؤكد المتمحض للتوكيد فينصب لقوله في ذلك : «و مما يجيئ توكيدا بنصب قوله : سير عليه سيرا و انطلق به انطلاقا و ضرب به ضربا فينصب على وجهين ، أحدهما أنه حال ...وإن شئت

---

(1)-الكتاب ، ج1، ص 228.

(2)-المصدر نفسه ، ص 228.

(3)-نفسه، ص 229.

نصبته على إضمار فعل أخر ، و يكون بدلا من اللفظ بالفعل فتقول : سير عليه سيرا وصرب عليه ضربا كأنك قلت بعد ما قلت سير عليه و ضرب به : يسيرون سيرا و يضربون ضربا) [1]و أكد ابن السراج هذا بقوله :سير بعبد الله سيـــرا ، و ذهـــــب إلى عبد الله ذهابا ، فالنصب الوجه ، لأنه ليس في قولك: سير "من الفائدة إلا ما في(سير)و جوازه [2] على أنك إن قلت سير به الله سير ٌ فمعناه ضرب من السير...» [3] .

وكما لا يتسع في المصدر المؤكد لا يتسع فيما كان نائبا من المصدر فلا يقال : ضرب بسوط زيدا[4] ، غير أن سيبويه أجاز أن يتسع في وصف المصدر النائب عنه إذا وصف كقولنا سير عليه شديد من السير و العلة في ذلك أن الوصف لما وصف ضارع الاسم : لأنه لا يوصف إلا الاسم [5] .

و حكم المصدر الميمي في الاتساع حكم المصدر الأصلي فيقال : ضرب به مضرب شديد ، سيربه مسار حسن و سرح به مسرح جميل [6] .

و يجوز أن يتسع في المصدر فيكون مفعولا فيه و يتسع بعد ذلك فيه توسع الظروف فيقال سير عليه خفوق النجم .

و في مثل هذا المثال اجتمع اتساعان اتساع في إجراء المصدر مجرى الظرف و اتساع في إنابة الظرف عن الفاعل و في هذا رد على من منع اجتماع اتساعين [7] .

و ظاهر كلام سيبويه أن الاتساع في إنابة المصدر من الفاعل مشروط بتفريغ الفعل له فإذا وجد المفعول به الأصلي و شغل الفعل به انتصب المصدر على أنه لم يقدم لنا أمثله

---

(1)-ينظر : المرجع السابق ص 231.

(2)-هذا مبتدأ خبره (على أنك ...)

(3)-الأصول ، ابن السرج ، ج1،ن ص 168-169.

(4)-المصدر نفسه ، ج1، ص 169

(5)-الكتاب ، ج1، ص 228

(6)-المصدر نفسه ، ص 233

(7)-مفهوم الاتساع و ضوابطه في النحو ، ص39.

لاجتماع المفعول المطلق مع المفعول به ، لكن ابن السراج أجاز الاتساع و لو كان المفعول به مذكورا فأجاز .

ضربته عبد الله ، يعني ضربت الضرب عبد الله ، لكنه منع أن ينوب المصدر عن الفاعل مع وجود المفعول الحقيقي مثل ضرب الضرب عبد الله [1] .

و ذكر السيوطي أن الاتساع إن كان لحظيا جاز مطلقا سواء أكان المفعول به مذكورا أم محذوف [2] .

أما المصدر المنسبك من (أن) والفعل أو (ما) و الفعل فإنه لا يتوسع فيه كما أنه لا يقع مفعولا مطلقا .

و إذا اجتمع مصدران اتسعت في أحداهما و نصبت الأخر كقولك : سير عليه سيرتان أيما سير ، كأنك قلت سير عليه بغيرك أيما سير [3] .

و من خلال ما سبق يتضح أن كتاب سيبويه يعد بمثابة البحر و الخوض فيه يعني الخوض في غمار بحر متلاطم الأمواج ، و هذا ليس بالأمر اليسير و لا البسيط ، بل لا يتجرئ على الغوص في أعماقه إلا أفذاذ يشار لهم بالبنان ، غير أنني حاولت الوقوف على شاطئ هذا البحر لدراسة ظاهرة الاتساع أو التوسع و فهم أساليبها و ظواهرها، فقد اتضح مفهوم التوسع عند سيبويه بصورة كبيرة و أن لم يشر إليه صراحة إنما عالجه ضمن مسائل كثيرة و متفرقة من كتابه و بالتالي تعدد صوره من " اتساع يقوم على الحذف في معظمه إلى اتساع يقوم على الإيجاز و الاختصار إلى اتساع يقوم على الإضمار و الإظهار إلى اتساع بالأخبار عن اسم العين بالمصدر ، أو ما يقابل ذلك في علم البيان بما يسمى المجاز العقلي

---

(1)-المرجع السابق ، ص39

(2)-نفسه ص39.

(3)-مفهوم الاتساع و ضوابطه في علم النحو ، ص40

بعلاقته المكانية ، حيث يسند الفعل أو ما في معناه إلى مكان المسند إليه ، كقولك : نهارك صائم و ليلك قائم [1] .

و الاتساع عند سيبويه ليس اعتباطا بل مرتبط بأسباب محدودة منها

- التحقيق على المخاطب لأن كثرة الاستعمال تجعل المخاطب على علم بأسرار الحذف أو التجوز.
- الاختصار و ترك التفصيلات بحكم أنها معلومة عند المخاطب بالضرورة أو يمكن إدراكها بالقرائن اللفظية أو العقلية [2] .

و هذا إن يدل على شيء إنما يدل على فطنة سيبويه و ذكاءه و ذلك لمعرفته الشاملة بكلام العرب الذي بقي افتراضاته انطلاقا من استقرائه بكل تحمص و دقة .

(1)-الاتساع اللغوي بين القديم و الحديث ، عطية الغول ، د.ط ، دار البيروني ، عمان الأردن ، 2008 ، ص18.
(2)-المرجع نفسه ، ص19.

المبحث الثاني : ظاهرة الاتساع عند ابن سراج

انتقلت من سيبويه إلى أبي بكر ابن السَّراج هذا العالم الحـــري بالدراسة الجديـــر بالتقويم ، فهو علم من أعلام النحو ، و إمام أئمة الثقافة و شيخ من شيوخ اللغة تأثير بمن سبقه من النحاة أمثال : ابن أبي إسحاق ، و عيسى بن عمر ، و أبي عمرو بن العلاء والخليل بن أحمد الفراهيدي و سيبويه و يونس بن حبيب و غيرهم الكثير .

و قد كان لكتاب الأصول في النحو منزلة خاصة في نفوس النحاة و في تاريخ النحو ولأرائه أهمية كبيرة كتب لها من الذيوع و الانتشار بين الدارسين ما لم يكتب إلا لقلة نادرة من المصنفات النحوية مثل كتاب سيبويه و المقتضب لأبي العباس فهذا العمل البارع الذي قام به في القرن الرابع هجري جمع فيه أبواب النحو و الصرف و قد لقي إقبالا و إعجابا من معظم دارسي العربية حتى قيل عنه:«مازال النحو مجنونا حتى عقله ابن السَّراج في أصوله» [1] فكتابه الأصول يعد بحق أول كتاب يتبع منهما واضحا في ترتيب الموضوعات والأبواب النحوية التي كانت في الكتاب و في المقتضى على نهج غير واضح ، حتى أتى ابن السراج فقسم الأبواب إلى أقسام الكلمة من اسم و فعل وحرف ،و بحسب العوامل و أثرها من رفع و نصب و جزم و جر ...» [2]

و من المواضيع التي عالجها بن السراج في أصوله ظاهرة الاتساع ، يمكن عد محاولته من أقدم محاولات اللغويين العرب و أكثرها قربا إلى وضع تنظير للاتساع ، بعد أن أدرك أن مصطلح الاتساع فضفاض المفهوم لذلك حاول تحديده " [3] ، بقوله :" اعلم أن الاتساع ضرب من الحذف إلا أن الفرق بين هذا الباب و الباب الذي قبله ، أن هذا تقيمه مقام

---

(1)–مقدمة الأصول في النحو ، لأبي بكر بن السهل بن السراج النحوي البغدادي ، تحقيق عبد الحسين الفتلي ،مؤسسة الرسالة ، ط3، 1996،بيروت ،ج1،ص 23.

(2)–التوسع في كتاب الأصول في النحو ، صادق فوزي النجادي ، الجامعة المستنصرية ، د.ط، 2004، بغداد ، ص 140.

(3)–الاتساع و أثره في المعجم العربي – لسان العرب أنموذجا ، علاء حمادي تكي ، جامعة العرق ، د.ط، 2013 ، ج1، ص19.

المحذوف و تعربه بإعرابه و ذلك و ذلك الباب تحذف العامل فيه و تدع ما عمل فيه على حاله في الإعراب ، و هذا الباب العامل فيه بحاله و إنما تقييم فيه المضاف مقام المضـاف إليه ، أو تجعل الظرف مقام الاسم "[1] .

من خلال هذا القول يتضح أن ابن السراج أول من حاول وضع تنظير للاتساع وذلك بربطه وجعله جزء من الحذف ولكن بجدر بنا الإشارة إلا أنه ليس لكل حذف اتساع " [2]

وقد حدد ابن السراج عنصرين أساسيين يمكن في ضوئهما تحديد الفرق بين الاتساع والباب الذي قبله يقصد الإضمار هما :

1- حذف العامل و هو شرط أساسي .

2- بقاء المعمول فيه في رتبته الإعرابية أو مغادرته إياها [3]

فيحذف العامل و مغادرة المعمول فيه لرتبته الإعرابية يحصل الاتساع أما إذا حذف العامل و حافظ المعمول فيه على رتبته الإعرابية فيكون حذف دون اتساع

العامل		المعمول فيه
	←	مغادرة الرتبة الإعرابية : الاتساع
حذف	←	البقاء في الرتبة الإعرابية : الحذف

(1)-الأصول في النحو ، لابن السراج ، ج1، ص 255.

(2)-الاتساع و أثره في المعجم العربي ، علاء حمادي ، ج1، ص 19.

(3)-المرجع نفسه ، ص20.

و من هنا نستشف السر القابع وراء جعل ابن السراج الاتساع ضربا من الحذف كما نستنتج أيضا أن هناك نوعين من الحذف في تحديده لمفهوم الاتساع .

النوع الأول : حذف العامل و هو المستوى أو النوع الواسع من الحذف الذي يندرج ضمنه الاتساع .

النوع الثاني : هو حذف المعمول فيه ، و هو النوع الضيق من الحذف الذي لا يكون الاتساع جزءا منه بل هو صنوه و ردفه بوصفه مكملا في باب الحذف في مستواه الواسع[1]

و نمضي مع أبي السراج لمزيد من البيان و الإيضاح ، حيث يورد الأمثلة في أصوله ليوضح مسألة حذف المضاف و لإقامة المضاف إليه مقامه فيقول «فأما الاتساع في إقامة المضاف إليه مقام فنحو » "سل القرية " [2] تريد أهل القرية و قول العرب بنو فلان يطؤهم الطريق ، يريدون أهل الطريق و قوله : «و لكن البر من أمن بالله » [3] إنما هو بر من آمن بالله » [4] .

و ما يلاحظ أن الأمثلة التي ساقها ابن السراج هي نفسها عند سيبويه مما يدل على أن تأثير ابن السراج بسيبويه فهو يرتكز على ما ورد في الكتاب مع مزيد من الشرح والتفصيل في كثير من المسائل و الاتساع واحد منها ، الذي عالجه صاحب الأصول بشكل دقيق ممنهج حيث ربطه بالحذف و كل هذه الأمثلة تقوم على حذف المضاف و إقامة المضاف إليه مقامه و بالتالي الانتقال من الإضافة إلى المفعولية مع المحافظة على المعنى الأصلي .

---

(1)-المرجع السابق ، ص20.

(2)-سورة يونس ، الآية 82.

(3)-سورة البقرة ألآية 177.

(4)-مفهوم الاتساع و ضوابطه في علم النحو ، بهاء الدين عبد الرحمن ، الألوكة ، د.ط، د.ت، ص22.

ومن مباحث التوسع أيضا التي عالجها ابن السراج في أصوله التوسع في الظروف والأسماء التي تقع ظروفا زمانية كانت أم مكانية .

وقوع الأسماء ظروفا :

I. ظروف المكان :

أ-الميل و الفرسخ : و مما يجري مجرى ما ذكره ابن السراج من الأسماء التي تكون ظروفا ، فرسخ و ميل : " يقول سرت فرسخا و فرسخين ، و ميلا وميلين فإن قال قائل ، ففرسخ و ميل موقف معلوم فلم جعلته منها ؟ قيل له إنما يراد بالمبهم ما لا يعرف له من البلاد موضع ثابت و لا حدود من الأمكنة ، فهذا إما يعرف مقداره)[1] ، فالمقصود بهذا القول أن الفرسخ و الميل تكون مسافتها مقدرة و معلومة " لأنه يصلح وقوعه على كل مكان بتلك المسافة المقدرة ، و قد أشار سيبويه بأن " ظروف الأماكن هي مثل ظروف الزمان في الاختصار و الحذف و سعة الكلام و أشار إلى ذلك بقوله :" و يتعدى إلى ما كان وقتا في الأمكنة كما يتعدى إلى ما كان وقتا في الأزمنة "[2] ، فالمقصود من قول سيبويه أن الفعل يتعدى إلى ظروف المكان التي تكون مقدرة و معروفة مثل الفرسخ و الميل لا يتعدى في الزمن ، فالفرسخ و الميل في المكان يعادل اليوم أو شهر في الزمن ، و قد أشار الأستاذ صادق فوزي النجادي إلى أن سيبويه كان يسمى الظرف وقتا لأن العرب كانت تستعمل التوقيت في معنى التقدير .

(1)-التوسع في كتاب الأصول في النحو ، صادق فوزي النجادي ، ص43.

(2)-المرجع نفسه ، ص43.

و يواصل ابن السراج في توضيح هذا النوع من التوسع حيث يقول :" هذا الاتساع أكثر في كلامهم من أن يحاط به ، و نقول سرت فرسخين يومين ، إن شئت جعلت نصبهما بأنهما مفعولان على السعة على ذلك قولك ، سير يزيد فرسخان يومين ، إذا جعلت الفرسخين يقومان مقام الفاعل ، لك أن تقول سير بزيد فرسخين يومان ، فتقيم اليومين مقام الفاعل "[1]

معنى هذا أن المتكلم له الخيار إما النصب أو الرفع فإذا رفع اليومين ينصب الفرسخين كما يحق له أن يعكس المسألة فيرفع الفرسخين و ينصب اليومين على شرط أن الذي يرفعه مفعولا على التوسع لأنه خرج عن كونه ظرفا و أصبح اسما .

أ-**خلف و أمام** :

" قال ابن السراج (فأما قولهم : داري من خلف دارك فرسخا) ، فانتصب فرسخا ؛ لأن ما (خلف دارك الخبر) ، فابن السراج نصب فرسخ ، لأن خلف خبر للدار و هي اسم "[2]

و ذكر ابن السراج الحروف التي تكون ظرفا نحو (خلف) و (أمام) ، ثم نص على أن " هذه الظروف أسماء "[3] .

و ذكر المبرد في المقتضب " أن كل ظرف متمكن فالإخبار عنه جائز وذلك قولك إذ قال قائل : زيد خلفك ، أخبر عن (خلف) قلت : الذي زيد فيه خلفك ، فترفعه لأنه اسم

(1)-الأصول في النحو ، لأبي بكر ابن السراج ، ج1، ص256.
(2)-التوسع في كتاب الأصول في النحو ، صادق فوزي النجادي ، ص44.
(3)-الأصول في النحو ، ج1، ص114.

، و قد خرج من أن يكون ظرفا "[1] ، وقال ابن السراج ؛ " أن خلف يجوز فيها الرفع و التوسع فيقال (خلفك واسع)" [2] .

ثم ذكر ابن السراج أنت هذه الأشياء كلها قد تكون أسماء غير ظروف بمعزلة زيد و عمرو [3] .

و مما يمكن تقريره هنا أن ظروف الأماكن تتصرف إذا أضيفت و تعامل معاملة الأسماء التي تكون مكانية أو زمانية ، و في ضوء ذلك أكد ابن السراج ما سمعه من العرب الذين يقولون : (داره ذات اليمين) .

ب- ذات اليمين وذات الشمال :

ذكر ابن السراج (ذات اليمين و ذات الشمال) عندما تحدث عن ظروف الأماكن التي تكون أسماء لأنك تقول : داره ذات اليمين و شرقي كذا أو كذا .

قال و قالوا : منازلهم يمينا و شمالا [4] ، فهي من الظروف المكانية كثيرة التصرف، التي تستعمل ظرفا و غير ظرف ، ووقوعها غير ظرف أكثر ، كأن تقع مبتدأ أو فاعلا أو نائبه أو مضافا إليه فتقول : دارك ذات اليمين و منازلهم ذات الشمال و منه قوله تعالى : « تَزَاوَرُ عَن كَهْفِهِمْ ذَاتَ الْيَمِينِ وَإِذَا غَرَبَت تَّقْرِضُهُمْ ذَاتَ الشِّمَالِ » سورة الكهف الآية 17.

(1)-نقلا عن : التوسع في كتاب أصول النحو ، صادق فوزي النجادي ، ص45.
(2)-الأصول في النحو ، ج2، ص274.
(3)-الأصول في النحو ، ج1، ص198.
(4)-المصدر نفسه، ص 198.

و ذكر سيبويه أنك تقول : « سير عليه أيمن و أشمل ، و سير عليه اليمين و الشمال لأنه يتمكن ، تقول على اليمين و على الشمال و دارك اليمين و دارك الشمال » [1] والدليل على تصرف هذه الظروف قول ابن السراج : «و الأمكنة تنقسم قسمين ، منها ما استعمل اسما يتصرف في جميع الإعراب و ظرفا ما لا يرفع و لا يكون إلا ظرفا » [2] .

و يفهم من كلام ابن السراج أن الظروف منها ما يكون اسما و ظرفا و منها ما يكون إلا ظرفا دون أن يكون اسما

II. ظروف الزمان :

أ–اليوم و الليلة : ذكر ابن السراج في كتابه الأصول أن ظروف الزمان منها ما يكون اسما و ظرفا ، و منها ما يكون ظرفا و لا يكون اسما فالذي يكون منه ظرفا و اسما ضّم(اليوم و الليلة و الشهر و السنة و العام و الساعة و نحو ذلك) [3] .

و قال ابن السراج" كذلك إذا قلت : (قمت اليوم يا هذا) فجعلت اليوم مبتدأ قلت : (اليوم قمت فيه) لأنه قد صار اسما"فترفع و أنت تعني في بعضه ، كما تقول في سعة الكلام .. قمت اليوم ، و قعدت اليوم فلك أن تنصبه نصب المفعول على السعة [4] وأجاز ابن السراج أن تقول (الليلة الهلال) [5] و إنما الهلال يكون في بعض الليلة فالمقصود (الليلة حدوث الهلال) أو الليلة ليلة الهلال و لكنه اتسع و أوجز .

ب–أسماء الشهور : ذكر ابن السراج و هو ينقل كلام سيبويه : (أن محرم و سائر الشهور أجريت مجرى الدهر ، و الليل و النهار ، و قال لو قلت : شهر رمضان أو شهر

---

(1)–الكتاب ، ج1، ص113.

(2)–الأصول في النحو ، ج2، ص197.

(3)–المصدر نفسه ، ج2، ص 291.

(4)–التوسع في كتاب الأصول في النحو ، ص 47.

(5)–نقلا عن التوسع في كتاب الأصول في النحو ، ص 47.

ذي الحجة ، كان بمنزلة يوم الجمعة أو البارحة) وذلك لأن الشهور هي جملة من الأيام ، وابن السراج يريد أن الفعل إذا وقع على الشهور مثله مثل الدهر و الليل و الأبد بحيث الفعل يتناول تلك الشهور ولا يقتصر على يوم محدد أو ساعة من الساعات .

و قد نص السهيلي على هذا الكلام بقوله : « و أعلم أنه ما كان من الظروف له علم ، فإن الفعل إذا وقع فيه تناوله جميعه ، و كان الظرف مفعولا على سعة الكلام ، فإن قلت (سرت غدوة) فالسير واقع في القوت كله ، و كذلك سرت السبت والجمعة ،و (سرت المحرم و صفر) و كل هذا مفعول على سعة الكلام و لا ظرف للفعل » [1] فقول السهيلي يؤكد ما ذهب إليه ابن السراج أن الفعل يقع على الوقت كله لا جزء منه ، و هذا وجه من وجوه الاتساع .

هذا عن الظروف أما الاتساع الناتج عن حذف حروف الجر ، فقد تناوله أيضا ابن السراج بالدرس و التحليل حيث قال :" فمتى وجدت فعلا حقه أن يكون غير متعد و وجدت العرب قد عدته فاعلم أن ذلك اتساع في اللغة ، و استخفاف و أن الأصل فيه أن يكون متعديا بحرف جر [2] .

هذه فقط مجرد إشارات و إيحاءات لموضوع الاتساع عند ابن السراج لكن التوسع أكثر من أن يحاط به ، فهو نظام موازي لنظام اللغة ، و العربية في حد ذاتها بحر متلاطم الأمواج لا يتجرأ عليها إلا أفذاذ يشار لهم بالبنان ، و قد درست ظاهرة الاتساع عند ابن السراج من قبل أ.صادق فوزي النجادي حيث تطرق فيها الباحث إلى مواطن تجلي هذه الظاهرة في مختلف مستويات اللغة من صوت و صرف و نحو و بلاغة و هذا ما دفعنا إلى تضييق مجال الدراسة تفاديا للتكرار والتركيز على الجانب النحوي و خاصة في باب الحذف باعتباره المستوى الأكبر الذي ينطوي تحته الاتساع كما عالجه ابن السّراج في أصوله .

---

(1)–نقلا عن التوسع في كتاب الأصول في النحو ، ص 49.

(2)–مفهوم الاتساع و ضوابطه في علم النحو ، بهاء الدين عبد الرحمن ، ص23.

الفصل الثالث: ظاهرة الاتساع في الدرس البلاغي العربي القديم

المبحث الأول : الاتساع عند عبد القاهر الجرجاني

(في كتاب دلائل الإعجـــــاز)

المبحث الثاني : الاتساع عند جار الله الزمخشـري

(في كتـاب تفسيـر الكشـاف)

توطئة :

يكفي الدراسات البلاغية شرفا أنها ترتبط مباشرة بديننا و عقيدتنا ، فهي التي تحدد المقاصد القريبة و البعيدة في النص ، كما تبين الظاهر و الخفي في الفظ ، فلو لم يدرك السامع مصطلحات البلاغة لما أدرك الصواب في كثير من الأحيان و علم البلاغة – بلا شك- من المعلوم الأساس التي قامت خدمة للعربية . و هو يحظى بمنزلة رفيعة من حيث الأهمية ، و قد كثرت المصنفات التي أصبحت نورا يرسم لنا السبيل و يضئ لنا الطريق مثل (أسرار البلاغة) ،(دلائل الإعجاز)، (الصناعتين) ،(مفتاح العلوم) ، (سر الفصاحة) (الإيضاح) إلى جانب الكثير من هذه المصنفات التي لا يمكن حصرها.

و إلى جانب هذه المصنفات تتعدد المصادر التي تناولت نظرية النظم بالدراسة والتحليل سواء أذكر فيها مصطلح النظم أم ألمح إليها بإشارات متناثرة حول موضوعاته التي كانت بمثابة الإيحاءات التي استوحى منها عبد القاهر الجرجاني فكرته في النظم و من هذه التأليفات :«معاني القرآن للفراء ،و مجاز القرآن لابن المثنى ، و البيان و التبيين للجاحظ،تأويل مشكل القرآن لابن قتيبة ، الكامل للمبرد ، و ثلاث رسائل في الإعجاز للرماني والخطابي ، و عبد القاهر الجرجاني و الصناعتين للعسكري ، و إعجاز القرآن للباقلاني و العمدة للقيرواني ، و يتصدر جميع هذه المؤلفات كتابا : دلائل الإعجاز و أسرار البلاغة للإمام عبد القاهر الجرجاني ».[1]

و قد اخترنا من بين هذه المؤلفات دلائل الأعجاز لتوضيح و دراسة ظاهرة لغوية بلاغية ألا و هي (الاتساع) إلى جانب عالم جليل سار هو الأخر على نهج الجرجاني في مسألة النظم ،و هو جار الله الزمخشري في كشافه.

---

[1]- التراكيب النحوية من الوجهة البلاغية عند عبد القاهر، عبد الفتاح لاشين،ص 30

المبحث الأول : الاتساع لدى عبد القاهر الجرجاني (دلائل الاعجاز).

بعدما تطرقنا في الفصل الثاني لموضوع الاتساع عند أئمة النحو سيبويه و بن السراج جدير بنا أن نشير في هذا الفصل إلى عالم آخر لا يقل منزلة على من سبقه من البلاغيين ألا و هو عبد القاهر الجرجاني الذي يعد بحق أعظم علماء البلاغة الذين قدموا أنموذجا متميزا في معالجة الظواهر البلاغية التركيبية و خاصة فيما يتعلق بمسألة– النظم– من خلال اعتماده منهجا يقوم على الوصف و التحليل و الاستدلال العقلي ، محاولة منه اكتشاف بنية اللغة و أصولها و قد استطاع أن يبين أسرار و عبقرية اللغة العربية حتى اتضح للقارئ لغة لا تدانيها لغة أخرى ، لاشتمالها على سمات لغوية متفردة و تضمنت خصائص لسانية متميزة ؛ فهي تتصف بتنوع بنيتها الصوتية و تعدد في أوزانها الصرفية و مرونة في اشتقاق ألفاظها و كفاءة تراكيبها في الإبانة عن المعاني بأحسن أساليب الأداء .و هذا أن يدل على شيء إنما يدل على اتساع وشجاعة العربية التي خصص له عبد القاهر الجرجاني حيزا كبيرا في كتابه دلائل الإعجاز منها منا ذكره في فصل بعنوان (في اللفظ يطلق و يراد به غير ظاهره) فقد عالج الجرجاني ظاهرة الاتساع و صوره ضمن ما يعرف عنده بالمعنى و معنى المعنى ليبين سر عبقرية اللغة التي لا ترقى إليها لغة من لغات العالم . هذا ما سنحاول مناقشته في مضامين هذه الأوراق .

النظم وموضوع الاتساع (عند عبد القاهر الجرجاني):

بعدما تطرقنا إلى مسألة النظم و علاقته بالاتساع في مبحث سابق سنحاول طرق هذا الباب من جديد ، و لكن هذه المرة سنركز على الجانب البياني باعتبار أن علم المعاني قد أشرنا إليه مسبقا من خلال دراسة ضروبه فكان التقديم و التأخير أنموذجا لشرح فكرة الاتساع في النظم، و السبب في تركيزنا على الجانب البياني بوصفه الجانب الجمالي التصويري ، وذلك بدراسة و تحليل أراء عبد القاهر الجرجاني المتعلقة بموضوع الاتساع في النظم من خلال ما ورد في دلائل الإعجاز و خاصة بما يعرف بالمعنى و معنى المعنى . من المعروف أن صلة الإنسان باللغة تبدأ منذ سن مبكرة ، أين يتعلم معاني الكلمات المتواضع عليها و كذا التعبيرات اللغوية و مع مرور الوقت يبدأ في تداول اللغة عبر استعمالها بحسب المقام ومقتضى التخاطب مما بفرض عليه إحداث نوع من الانتقال في طريقة صياغة المعنى ، تظهر المزية في الكلام بتعدد أنماطه الخطابية بحيث يكون بمقدور المتكلم اختيار النمط الذي يتلاءم وسياق تلفظه ، و لكن غالبا ما يحدث و أن ينزاح القول عن الأصل المتواضع عليه إلى ما يعرف بالعدول ، و في ذلك يقول عبد القاهر الجرجاني :"**و إنما تكون المزية و يجب الفضل إذا احتمل في ظاهر الحال غير الوجه الذي جاء عليه وجها أخر** . "[1]

و هو إشارة منه إلى العدول في القول و ما يحدثه من مزية في النظم من جهة الانتقال من المعنى المباشر إلى المعنى الثاني المرتبط بالسياق ، مما يجعل المتكلم يشحن لغته بطابع الذاتية " **بحيث تصبح الكلمة ملتصقة و مقرونة بتجاربه و ميوله و نزعاته و رغباته و انفعالاته الخاصة** "[2] ، فينضاف إلى ذلك المعنى المتواضع عليه معنى أخر مرتبط بمقام التخاطب و ظروف إنتاجه ، و يظهر فيما سما عبد القاهر **بمعنى المعنى** مما يستدعي

---

(1)- دلائل الإعجاز ، عبد القاهر الجرجاني ، ص250.

(2)- نقلا عن : قضايا تداولية في كتاب دلائل الإعجاز لعبد القاهر الجرجاني ، تاقبايث حامدة ، د.ن، جامعة مولودة معمري ، تيزي وزو ، 2012، ص101.

حصول تأول من طرف المتلقي من أجل فهم المعنى المقصود " و اكتشاف معنى المعنى – في نظر عبد القاهر – هو أهم مرحلة من مراحل الفهم و التأويل في النصوص و الخطابات "[1] خاصة إذا كانت سمة العدول مهيمنة عليه وذلك ما دفع محمد العمري إلى القول " **أما التصور المقصدي في الدلائل فقد حاول استيعاب المادة الانزياحية و تهذيبها بجعلها مشروطة بالنظم و تابعة له برغم الاضطراب الواقعة في ذلك**"[2] فقد لاحظ هذا الباحث أن مدار كتاب دلائل واقع على العدول في الكلام و ذلك ما يتعلق في استعمال اللغة – أي من خلال النظم .

و بهذا جعل عبد القاهر الكلام على ضربين " **ضرب أنت تصل منه إلى الغرض بدلالة اللفظ وحدة ، و ذلك إذا قصدت أن تخبر عن (زيد) مثلا بالخروج على الحقيقة فقلت : (خرج زيد) و بالانطلاق عن (عمرو) فقلت : (عمرو منطلق) وعلى هذا القياس ، و ضرب أخرا أنت لا تصل منه إلى الغرض بدلالة اللفظ وحده ولكن يدلك اللفظ على معناه الذي يقتضيه موضوعه في اللغة ، ثم تجد لذلك المعنى دلالة ثانية تصل به إلى الغرض،ومدار هذا الأمر على الكناية و الاستعارة و التمثيل** "[3] إن تنبه عبد القاهر إلى وجود ضربين من الكلام قاده كما رأينا إلى التمييز بين نوعين من المعنى سماهما الجرجاني **بالمعنى و معنى المعنى** " **نعنى بالمعنى المفهوم من ظاهر اللفظ و الذي تصل إليه بغير واسطة ، و بمعنى المعنى أن تعقل من اللفظ معنى ثم يفضي بك ذلك المعنى إلى معنى أخر**"[4] ، و هو ما يتضح بالمعنى المترابط بالملفوظ ، و في هذا السياق يقول **حافظ اسماعيل علوي** عن المعنى الأول المباشر أو ما يسميه المعنى في الدرجة

---

(1)- المرجع السابق ،ص101

(2)- المرجع نفسه ص101.

(3)- دلائل الإعجاز ، ص257.

(4)- المصدر نفسه ص 263.

الصفر " **إنه يتمثل في كل معنى مرتبط مباشرة بمكونات الجلة ، و يمثل الحاصل الدائم و المباشر لتألف العناصر المكونة لهذه الجملة**" [1] ففي هذا المستوى من المعنى يبتعد التخاطب عن التأويل ليجعل الفهم مرتبطا بفهم الملفوظ في استقراره المباشر " **و إلى هذه الحدود لا يمكن أن نتحدث عن الخطاب و لا عن قيام التأويل أو عدمه لأن المعنى في هذه الحدود يكون في سياق الصفر ، إن صح هذا أو خارج السياق و هو بالتالي خراج الاستعمال أو قبله،و لا حديث عن التأويل أو عدمه إلا بعد الاستعمال**"[2] و أما معنى المعنى فهو « مرتبط بالأغراض التي يرومها المتكلم من كلامه و في ذلك معارضة من طرف عبد القاهر للطائفة التي جعلت المعنى يشرف بحسب شرف اللفظ المفرد، و هذا ما رفضه عبد القاهر حين ربط المعنى و الغرض بالاستعمال و هو استعمال مرتبط بالمتكلم عن طريق الآليات التي يوظفها في كلامه " **فاعلم أنهم يصفون كلاما قد أعطاك المتكلم أغراضه فيه من طريق معنى المعنى ، فكنى و عرض و مثل و استعار ، ثم أحسن في ذلك كله و أصاب ، و وضع كل شيء منه في موضعه و أصاب به شاكلته ، و عمد فيما كنى به و شبه و مثل لما حسن مأخذه و دق مسلكه ، و لطفت إشارته ، و أن المعرض و ما في معناه ليس هو اللفظ المنطوق به و لكن معنى اللفظ الذي دللت به على المعنى الثاني** " [3] »[4] و نجده في معرض حديثه عن الفرق بين المعنى الأول و المعنى الثاني :" فالمعاني الأولى المفهومة من أنفس الألفاظ هي المعارض و الوشي والحلي و أشبه ذلك ، و المعاني التي يومئ إليها بتلك المعاني ، هي التي تكسي تلك المعارض و تزين بذلك الوشي و الحلي" [5]

---

(1)–تداوليات علم استعمال اللغة ، حافظ اسماعيل علوي أخرون ،ط1، عالم الكتب الحديث ، عمان ، 2011، ص206.

(2)– المرجع نفسه ، ص206.

(3)–دلائل الإعجاز ، ص263.

(4)– قضايا تداولية في كتاب دلائل الإعجاز لعبد القاهر الجرجاني ، ص103.

(5)– دلائل الإعجاز ، ص264.

و يمكن توضيح مسألة **معنى المعنى** بالمخطط الأتي [1]:

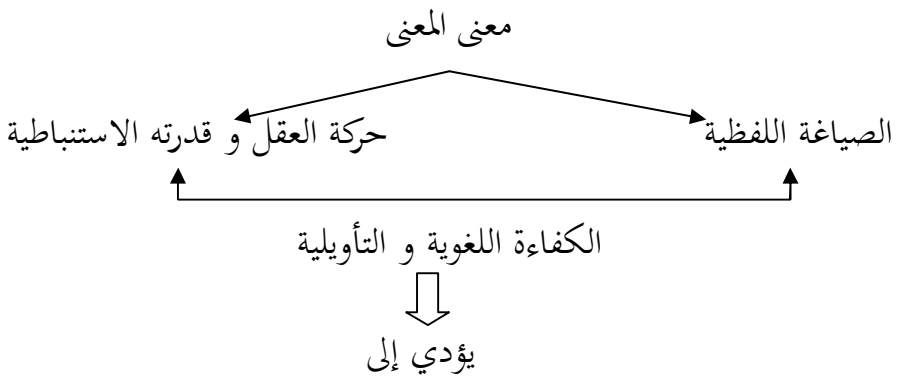

تغير القصد (المستوى الداخلي الباطني) ⟵ التغير في التشكيل الخارجي الصياغة

من خلال هذا المخطط نستخلص أن الدلالة المضمرة لا يمكن تحقيقها إلا عن طريق تكافؤ اللفظ مع المعنى و في هذا تأكيد على موقف الجرجاني في عدد انتصاره لا للفظ وحده و لا للمعنى وحده إنما لكلا الطرفين و دورهما في النظم ، تضف إلى ذلك أن المتكلم يستغل كل أنواع الاحتمالات النحوية الممكنة في خلق أنماط تركيبية ترتبط به و تدل عليه و هو ما يجعل التمايز يتم بيم مبدع و أخر ، و أما المخاطَب المؤول فإنه يعمل على تأويل تلك الأنماط التركيبية من أجل الوصول إلى معنى المعنى و في ذلك كله تظهر حركية العقل في الانتقال من المعنى الظاهر إلى معنى مضمر ، وذلك ما يتم باستثمار مختلف الكفاءات؛وفق منظور عبد القاهر يصبح التركيب (القول) ذو جانبين : علاقة أصلية و علاقة جديدة أضفاها عليه الاستعمال ،وهذا ما يسمح أو يهيئ إمكانية التحليل الواعي للصياغة [2]وذلك ما يتأتي بالنظر بالعدول داخل القول نفسه .

(1)- قضايا تداولية في كتاب دلائل الاتجار ، ص104.

(2)- المرجع نفسه ، ص105.

الاتساع و الكناية :

تحدث الجرجاني عن الاتساع في القول في فصل بعنوان (في اللفظ يطلق و يراد به غير ظاهره) و قد ربط الاتساع بالمجاز و الكناية ، فهو اتساع يتعدى البنية الظاهرية أو السطحية إلى أغراض تستفاد من السياق الذي يد في القول المجازي ، و ذلك من جهة الإثبات الذي يقوم به المتكلم ، فهو لا يصف واقع معين و إنما يسعى إلى إثبات واقع ما ، فالجرجاني قام بإلحاق الأقاويل المجازية بنظرية النظم ، و هي متعلقة باختيارات يقوم بها المتكلم أثناء انجازه للقول ، يقول الجرجاني " **و المراد بالكناية ها هنا أن يريد المتكلم إثبات معنى من المعاني فلا يذكره باللفظ الموضوع له في اللغة ، و لكن يجيء إلى معنى هو تاليه وردفه في الوجود فيومئ إليه و يجعله دليلا عليه** "[1] .

فالكناية حسب ما أورده الجرجاني مرتبط بكيفية استعمال المتكلم لها لتبليغ مقاصده ، ساعيا في ذلك إلى إنشاء واقع معين أو إثبات صفة معينة بحيث ينتقل من المعنى الظاهر النحوي (المعنى الأول) إلى المعنى الثاني» فقولنا مثلا (**فلان طويل النجاد**) المقصود طويل القامة ، و أيضا (**نؤوم الضحى**) بمعنى امرأة مترفة لها خدم ، فالملاحظ من القولين حدوث اتساع في المعنى من جهة أن المراد هو إثبات صفة في الممدوح و ليس وصفة و ذلك الإثبات يكون بإرادة معنى مضمرا في السياق بإظهار معنى أخر هو دليل الإثبات " **فقد أرادوا في هذا كله كما ترى معنى ثم لم يردف بلفظه الخاص به و لكنهم توصلوا إليه بذكر معنى أخر من شأنه أن يردفه في الوجود** "[2]»[3] .

---

(1)- دلائل الإعجاز ، ص66

(2)- المصدر نفسه ، ص66

(3)- قضايا تداولية في كتاب دلائل الإعجاز لعبد القاهر الجرجاني ، ص105

و معنى قول الجرجاني أن هناك مستويين من المعنى وهما كما يتضحان لديه : المعنى الأول المباشر ، ثم يأتي المعنى الثاني أي **معنى المعنى** ، عن طريق النظر إلى قصد المتكلم والقيام بعملية الاستدلال (التأويل) ، بما أن معنى المعن مضمرا في القول ، فهو يستدعي تكافئ كلا الطرفين حتى يتحقق هذا المعنى فالمتكلم ينتقي صياغة خاصة تكسبه جودة في الأداء و الاستعمال و بالتالي يحدث مزية في القول أما المخاطَب هو الأخر يقوم بعملية استدلاله من شأنها أن تساعده فيه فهم القول و تأويل للوصول إلى المعنى المقصود (المعنى الثاني) "**فإنك في جميع ذلك لا تفيد غرضك الذي تعني من مجرد اللفظ ، و لكن يدل اللفظ على معناه الذي يوجبه ظاهرا ثم يعقل السامع من ذلك المعنى على سبيل الاستدلال معنى ثانيا هو غرضك** "[1].

فقولنا مثلا (رأيت أسدا) يتضح معناه من خلال ربطه بقصد المتكلم مع مراعاة السياق الذي ورد فيه ليكون المعنى أنه لا يريد السبع على حقيقته و إنما تشبيه إنسان بالأسد في بعض الصفات كصفة الشجاعة مثلا ، و بهذا انتقل القول من المعنى الأول إلى معنى ثان هو المقصود و المراد ؛ و يكون مستدعيا للاستدلال عليه إذ أن" **اقتران التأويل بالمجاز يعين على ضبط هوية الكلام الذي ينصرف التأويل إليه**" [2] ، وبهذا فالتأويل هو سبيل الكشف عن المعنى المضمر .

و للتوضيح أكثر إليك المخطط الأتي :

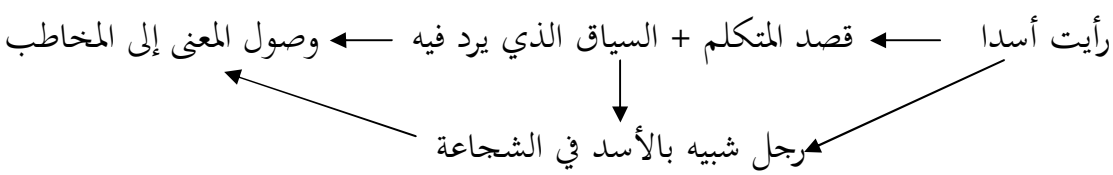

(1)- دلائل الإعجاز ،ص 262.

(2)- نقلا عن قضايا تداولية في كتاب دلائل الإعجاز ، ص105.

«ربط الجرجاني بلاغة الكناية بالتلميح الذي يكتنفها بدلا من التصريح الذي يظهر في القول العادي ، ففيها تحصل المزية و الفضل ، و يقول " **قد أجمع الجميع على أن الكناية ابلغ من الإفصاح و التعريض أوقع من التصريح و إن للاستعارة مزية و فضلا وأن المجاز أبدا أبلغ من الحقيقة** " [1] »[2] و لكن ما يجب البحث فيه هو السبب الذي تحصل به المزية في الكلام المجازي دون الحقيقي ، بما أن المعنى مضمورا ، فهل المزية واقعة من جهة إضمار ذلك المعنى و عدم إظهاره أم أنها تتعدى ذلك لترتبط بأمر أخر يكسبها شرفا في الاستعمال ؟.

"إن الإجابة عن هذا التساؤل قد قدمها الجرجاني في حديثه عن بلاغة القول مجازي عامة ، فهي بلاغة تتصل بجهة الإثبات ، هذا الإثبات الذي يفرق بين مزية القول المجازي والقول الحقيقي ، و ذلك بربطه بقصد المتكلم ، فتراه يتحدث عن ذلك بقوله :" **اعلم أن سبيلك أولا أن تعلم أن ليست المزية التي تثبتها لهذه الأجناس على الكلام المتروك على ظاهره ،و المبالغة التي تدعي لها في أنفس المعاني التي يقصد المتكلم إليها بخبره ، و لكنها في طريقة إثباته لها و تقريره إياها** " [3] ، **و التقرير هنا يحيل إلى طريقة الصياغة و الأداء من طرف المتكلم** "[4] ،و تفسير الجرجاني لأهمية فعل الاثبات في القول كما يلي : " **ليس المعنى إذا قفلنا (إن الكناية أبلغ من التصريح) أنك لما كنيت عن المعنى زدت في ذاته ، بل المعنى أنك زدت في إثباته فجعلته أبلغ ،و أأكد وأشد ، فليست المزية في قولهم (جم الرماد)أنه دل على قِرى أكثر ، بل أنك أثبت له القرى الكثير من وجه هو أبلغ و أوجبته إيجابا هو أشد ، و إذ دعيته و دعوى أنت بها**

---

(1)- دلائل الإعجاز ، ص70

(2)- قضايا تداولية في كتاب دلائل الإعجاز ، ص106

(3)- دلائل الإعجاز ، ص71

(4)- قضايا تداولية في كتاب دلائل الإعجاز ، ص106- 107

أنطق و بصحتها أوثق ، و كذلك ليست التي تراها لقولك : (رأيت زيدا) على قول(رأيت رجلا لا يتميز عن الأسد)، بل أفدت تأكيدا و تشديدا و قوة في إثباتك له هذه المساواة ، و في تقريرك لها ، فليس تأثير الاستعارة إذا في ذات المعنى و حقيقته ، بل في إيجابه و الحكم به "[1] و بهذا فالمزية تقع في طريقة إثبات المعنى و ليس المعنى نفسه ، لأن المعنى قد يشترك فيه فئة من الناس لكن طريقة إثباته تختلف باختلاف القصد والغرض و من متكلم لأخر .

و بهذا فالمعنى في القول المجازي عامة يتعلق بطريقة صياغته ،و هو ما أورده عبد القاهر في مصطلح النظم ، و لما كان المعنى في المرفوض منقسما في معنى مباشر و أخر غير مباشر فإن ضرورة البحث عن القسم الثاني من المعنى – المعنى غير مباشر – يمثل موضوعا حقيقا للتأويل ، و ذلك بغية الوصول إلى المعنى المتواري في القول ، فهو نفسه ، وجه من أوجه التوسع في المعنى .

(1)- دلائل الإعجاز ص71.

المبحث الثاني : الاتساع لدى الزمخشري « تفسير الكشاف »

يعد العلامة جار الله أبو القاسم بن عمر الزمخشري ، من كبار شيوخ المعتزلة من دون منازع ، فقد كان واسع العلم ، كثير الفضل غاية في الذكاء و جودة القريحة متفننا في كل علم ، معتزليا قويا في مذهبه مجاهرا به داعيا اليه حنفيا ، علامة في الأدب و النحو [1] ، وقد نال هذه المكانة العلمية الرفيعة بسبب حبه للعرب و العربية و هو القائل "**الله أحمد أن جعلني من علماء العربية و جبلني على الغضب للعرب و العصبية** " [2] .

و قد عرف الزمخشري بكشافه حتى قيل عنه (**صاحب الكشاف**)و لعل السبب في ذلك يعود إلى ما حواه هذا التفسير من علوم شتى كالبلاغة والأدب والفقه والقراءات واللغة و النحو ، و اهتم العلماء بالكشاف اهتماما كبيرا و وقفوا معه وقفات متعددة ، فوصفوا محاسنه و جوانب نبوغ صاحبه فيه على الرغم من الاعتزاليات التي احتواها[3].

و الزمخشري نفسه كتان معجبا بكتابه حتى قال عنه :

"إن التفاسير في الدنيا بلا عدد و لا ليس فيه لعمري مثل كشافي"

إن كنت تبغي الهدى فألزم قراءته فالجهل كالداء و الكشاف كشافي[4]

و قد حاولنا التركيز في هذا المبحث على صور الاتساع في الكشاف نظرا للخصائص البارزة في دراسته اللغوية و النحوية القائمة على مراعاة المعنى و عقد الصلة بين اللفظ والمعنى وتقريب الكلم على أوجهه المحتملة و الرجوع إلى الأصل عند النظر في الاشتقاق فهو يلمح

---

(1)- ينظر : أثر الاعتزال في توجيهات الزمخشري اللغوية و النحوية في الكشاف ، مهند حسن محمد الجبالي ، جامعة اليرموك ،/ بغداد ، 1996 ،ص14.

(2)- تفسير الكشاف للزمخشري ، دلدار غفور حمد أمين ، ط1/، دار دجلة ، المملكة الاردنية ، 2010 ، ص22.

(3)- المرجع نفسه ، ص23.

(4)- الكشاف ، جار الله الزمخشري ، ص242.

أثر اللغة في المعنى و يحاول عقد الصلة بينهما ، و يلمح أثر تغيير اللفظ و المعنى و النظر إلى علاقة النحو بالمعنى و بالبلاغة و أن ترجيحه في الاعراب بمقدار سمو المعنى و بلاغته ،بما أن الزمخشري لم يتوقف في تقليبه للجملة و الكلام على وجه واحد ، ففي ذلك غناء و سعه في اللغة ، و توسيع للأفق و استدعاء للمعاني المختلفة التي يحتملها التعبير ، و لا يجد الذهن في معنى واحد [1] .

هذا ما سنحاول الوقوف عليه في ثنايا هذا البحث بالكشف عن مظاهر الاتساع في اللغة من خلال الألفاظ المشتركة و العدول من تعبير إلى أخر و الحذف و التضمين ... إلى غير ذلك من مواطن التوسع في الكشاف.

الألفاظ المشتركة :

في اللغة العربية الألفاظ تشترك في عدة معاني كالعين التي تطلق على العين الباصرة وعلى عين الماء و على الجاسوس و على الجون الذي يطلق على اللونين الأبيض و الأسود و غير ذلك .

و قد عالج الزمخشري هذه المسألة أثناء تفسيره لأي القرآن الكريم إذ هناك الكثير من الآيات تتسع ألفاظها لتشمل أكثر من دلالة و بالتالي يتسع معنى التركيب باتساع الألفاظ ومن ذلك قوله تعالى إِنَّ اللَّه لَا يَسْتَحْيِي يَضْرِبَ مَثَلًا مَا بَعُوضَةً فَمَا فَوْقَهَا" البقرة الآية 26 .

فقد ذهب الزمخشري إلى أن قوله :" **فما فوقها** " يحتمال أن يكون ما تجاوزها و زاد عليها في الصغر و الحقارة ، و يحتمل أن يكون ما زاد عليها في الحجم كالذباب

(1)-ينظر أثر الاعتزال في توجيهات الزمخشري ، دلدار غفور حمد أمين ، ص20.

و العنكبوت [1] مشيرا إلى قوله تعالى :" إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ لَن يَخْلُقُوا ذُبَابًا وَلَوِ اجْتَمَعُوا لَهُ" {سورة الحج الآية 73 }، و قوله تعالى " مَثَلُ الَّذِينَ اتَّخَذُوا مِن دُونِ اللَّهِ أَوْلِيَاءَ كَمَثَلِ الْعَنكَبُوتِ اتَّخَذَتْ بَيْتًا " {سورة العنكبوت الآية 41}

لقد أعطى الزمخشري هذا الاية أكثر من تفسير لاحتمالها على أكثر من معنى و قد تكون كل هذه المعاني مرادة و مقصودة مستندا في ذلك على ما ورد في نصوص قرآنية أخرى و هذا ما يؤكد لنا إلى جانب اتساع معاني الايات أن القرآن يفسر بعضه بعضا.

و قد التقى الزمخشري في تفسيره الاول مع ابي عبيدة الذي يقول :

" **فما فوقها : فما دونها في الصغر** " [2] .

و ذهب أبو حيان إلى ما ذهب اليه الزمخشري فنقل في تفسيره كلاما مشابها لما ذكره الزمخشري في كشافه . [3] ، أما الفراء فهو يميل إلى المعنى الثاني – و هو الزيادة في الحجم – و لا يستحسن المعنى الأول ، فكأن البعوضة غاية في الصغر ، و لذا يجعل (**فما فوقها**) بمعنى ما هو أكبر منها [4] و لكن يمكن أن تفسر الفوقية في الآية بالمعنيين ،أي تفسر الفوقية بالزيادة في الحجم الممثل به ، فيشمل الذباب و العنكبوت كما يمكن أن تفسر بالصغر والحقارة و خير مثال على ذلك قولنا (**فلان أنذل الناس**) فيقال لك هو فوق ذلك أي أكثر من النذالة و أبلغ في الحقارة ، فيكون معنى الآية أن الله لا يستحي أن يضرب مثلا ما بعوضة فما دونها و أحقر منها و يقول فاضل السامرائي في هذا السياق :" **و لو أراد**

---

(1)–الكشاف عن حقائق التنزيل و عيون الأقاويل لوجوه الويل ،أبوالقاسم محمود بن عمر الزمخشري ، دار الفكر ، بيروت ، ط1، 1977 ،ص265.

(2)–مجاز القرآن ، أبو عبيدة ، تعليق فؤاد سزكين ، مكتبة الخانجي ، الاقاهرة ، ص35.

(3)–نقلا عن صور من اتساع دلالة الالفاظ و التراكيب في تفسير الزمخشري ، السامرائي ، ص09.

(4)–معاني القرآن ، الفراء تح عبد الفتاح شلبي ، مطبعة دار الكتب المصرية للتأليف و الترجمة،1955 ، ج1، ص20.

الاختصار على أحد المعنيين لقال على الاول (بعوضة فما أكبر منها) و على الثاني (فما دونها) ، و الله أعلم " [1] .

و من ذلك قوله تعالى على لسان موسى عليه السلام :" وَاجْعَل لِّي وَزِيرًا مِّنْ أَهْلِي" سورة طه الآية 29، ذكر الزمخشري أن كلمة (وزيرا) تحتمل معاني عدة فقد تكون من الوزر والوزر هو الملجأ الذي يلتجأ إليه من الجبل ، قال تعالى :" كَلَّا لَا وَزَرَ إِلَىٰ رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ الْمُسْتَقَرُّ" سورة القيامة الآية 11-12، و سمي الوزير بذلك لأن الملك يعتصم برأيه ويلتجئ إليه في أموره [2]و قد تكون من "الوزر " و هو الحمل الثقيل ، قال تعالى :" وَوَضَعْنَا عَنكَ وِزْرَكَ" سورة الشرح الآية 02 ، و قال : " وَهُمْ يَحْمِلُونَ أَوْزَارَهُمْ عَلَىٰ ظُهُورِهِمْ: سورة الأنعام الآية 31،و سمي الوزير بذلك لأنه يتحمل عن الملك أوزاره و مؤوله [3] ، وقد تكون من المعاونة [4] .

و تتسع لفظة (وزير) لهذه الدلالات كلها ، فعلى المعنى الأول يكون موسى عليه السلام قد دعا ربه أن يجعل أن يجعل من أهله من يلجأ إليه في أموره و يعتصم برأيه و على الثاني دعاه أن يجعل منهم من يحمل الثقل عنه و يعينه في رأيه ، و على الثالث دعاه أن يجعل منه من يعينه في دعوته ، و لبس بعيدا أن موسى عليه السلام قد قصد هذه الدلالات كلها في هذه اللفظة [5] .

---

(1)-صور من اتساع دلالات الألفاظ و التراكيب في تفسير الزمخشري ، السامرائي ، ص09.

(2)-الكشاف الزمخشري ، ج2، ص535.

(3)-المصدر نفسه ، ص536.

(4)-نفسه ، ص537.

(5)-صور من اتساع دلالات الألفاظ و التراكيب ، ص12.

غير أن دلالة الوزير على المؤازرة وهي المعاونة تكون أقوى من الدلالتين الأخرتين بدليل سياق الآية التي بعدها في قوله تعالى :" **اشْدُدْ بِهِ أَزْرِي**" سورة طه الآية 91 و قوله في موطن أخر:" قال سنشد عضدك بأخيك" القصص 25.

استجابة لدعاء موسى في قوله :" و أخي هارون هو أفصح مني لسانا فأرسله معي رداءا يصدقني" سورة القصص الآية 94،و الرداء هو الذي .....غيره معينا له [1] .

و ما يفهم أن القرآن الكريم يزخر بظاهرة المشترك اللفظي الذي تتسع ألفاظه لتشمل أكثر من دلالة مما يؤدي إلى اتساع معنى التركيب ... و لكن في الغالب تكون كل هذه المعاني مرادة و مطلوبة و منه أيضا قوله تعالى :" إنا أعطيناك الكوثر " سورة الكوثر الآية 01، إن لفظة (الكوثر) تحتمل أكثر من معنى كما ذكره الزمخشري ، و لذا يتسع معنى الآية باتساع معنى اللفظة لأن المعاني كلها مرادة و مقصودة .

فالكوثر من الكثرة و هو وصف يفيد المبالغة بمعنى المفرط الكثرة ، و الكوثر : نهر في الجنة ، و قد روي عن النبي صلى الله عليه و سلم أنه قرأها حين أنزلت عليه فقال ، أتدرون ما الكوثر : إنه نهر في الجنة وعدنيه ربي فيه خير خير كثير ، و يفسر الكوثر أيضا بالخير الكثير " [2] .

جاء في لسان العرب :«رجل كوثر : كثير العطاء و الخير ، و الكوثر : السيد الكثير الخير ...و في حديث المجاهد :"أعطيت الكوثر و هو نهر في الجنة و هو نهر في الجنة و هو فوعل من الكثرة و الواو زائدة و معناه الخير الكثير » [3] .

---

(1)-المرجع السابق ،ص 12.

(2)-الكشاف ، الزمخشري ، ص 290-291.

(3)-لسان العرب ، ابن منظور ، (مادة كثير) ،ج1، ص377.

و يبين الدكتور فاضل السامرائي سبب قوله (**الكوثر**) دون (**الكثير**) فيقول: « إن الكوثر يكون صفة تدل على الخير الكثير و يكون ذاتا موصوفة بالخير الكثير بخلاف الكثير فإنها تفيد الكثرة فقط غير محددة بشيء فكلمة (الكوثر) تعني شيئين :-

1- الكثرة.

2- الخير

فهي تعني الخير الكثير و ليس الكثير فقط و لذلك يقال:" **هو رجل كوثر**" و تسكت و لا يقال :"**رجل كثير** " و تسكت حتى تتم ذلك بقولك : هو كثير الخير و كثير العطاء ونحو ذلك ، و نقول (**أقبل الكوثر**) أي السيد الكثير الخير ولا تقول (**أقبل الكثير**) [1].

يتضح مما مر أن (الكوثر) له أكثر من معنى ، فهو يكون صفة للمبالغة نحو قولهم (رجل كوثر) أي كثير العطاء و الخير ، و يكون ذاتا موصوفة بكثرة الخير كما ورد في اللسان (الكوثر : السيد الكثير الخير) و هو أيضا نهر في الجنة ، و اللفظة في هذه الآية تتسع لتشمل المعاني كلها ، لأنن ذكر نعم أنعمها الله على رسوله عليه الصلاة و السلام في الدنيا و الآخرة .

ثانيا : العدول عن تعبير إلى أخر يحتمل أكثر من معنى و أكثر من وجه إعرابي :

قد يعدل القرآن الكريم من تعبير قطعي ليس له أكثر من معنى و أكثر من وجع إعرابي و أكثر من معنى و ذلك نحو قوله تعالى :" فليضحكوا قليلا و ليبكوا كثيرا " {سورة التوبة الآية 82}

فهذا التعبير يحتمل أن يكون المراد منه : فليضحكوا ضحكا قليلا و ليبكوا بكاء كثيرا و بالتالي يكون كل من (قليلا و كثيرا) نائبا عن المصدر ، و إما أن يكون المقصود

(1)-ينظر : صور من اتساع دلالة الألفاظ و التراكيب ، السامرائي ، ص13.

فليضحكوا زمنا قليلا و ليبكوا زمنا كثيرا ، فيكون كل منهما نائبا عن ظرف الزمان و المعنيان مرادان [1].

و ما يهمنا هنا هو أن تقف على آيات قرآنية أشار الزمخشري إلى أنها تحتمل أكثر من تفسير ، إلى أنها تحمل أكثر من وجه إعرابي و أكثر من معنى .

و من ذلك قوله تعالى :" و يصدهم عن سبيل الله " سورة النساء ' الآية 160، يقول الزمخشري إن لفظة كثير تعني «ناسا كثيرا أو سدا كثيرا »[2] ، و هذا يعني أن للفظة كثيرا أكثر من معنى وأكثر من إعراب وينبني على الاختلاف في معناها اختلاف في إعرابها ، فهي تحتمل أن يراد بها الدلالة على المصدر ، و يحتمل أن يراد بها الخلق فتكون مفعولا للمصدر المذكور .

فالآية جمعت بين المعنيين في وقت واحد (بين صد الناس و بين الصد الكثير) .

و إذا كان الزمخشري قد اقتصر على هذين الاعرابين و هذين المعنيين فإن هناك من توسع أكثر مما يتوسع الزمخشري ، فهذا أبو حيان النحوي يضيف معنى ثالثا و إعرابا ثالثا هو أن يكون المراد بـ (كثير) الوقت ، فتكون نائبة عن ظرف زمان و المعنى أنهم يصدون عن سبيل الله وقتا كثيرا أو زمنا كثيرا [3] .

و بهذا تحتمل الآية المعاني الثلاثة ، فهم يصدون صدا كثيرا ، و يصدون خلقا كثيرا ويصدون وقتا كثيرا ، فجمع التعبير القرآني هذه المعاني الثلاثة و يقول عز و جل :" أفلم يسيروا في الأرض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم كانوا أكثر منهم و أشد قوة وأثارا في الأرض فما أغنى عنهم ما كانوا يكسبون "{ سورة غافر الآية 82}

---

(1)-المرجع السابق،ص 13.

(2)-الكشاف ،ج1،ص581.

(3)-صور من اتساع دلالة الألفاظ و التراكيب ، ص20.

و من المعلوم عند النحاة أن (ما) لها أكثر من وظيفة و تحتمل أكثر من معنى فهي تحتمل الموصولية ، و قد تؤدي معنى النفي و الاستفهام ، و قد تكون مصدرية في كثير من التعبيرات ، و بما أن ما تحتمل أكثر من معنى فقد ذكرها الزمخشري ففي قوله تعالى " ما أغنى " يحتمل أن تكون (ما) نافية أي أن ما كانوا يكسبونه لم يغني عنهم ،و يحتمل أن تكون الاستفهامية أي :أي شيء أغنى عنهم الذي كانوا يكسبونه؟ و (ما) في قوله :" ما كانوا يكبرون" تحتمل الموصولية ، بمعنى الذي كانوا يكسبونه ، و العائد محذوف ،و تحتمل المصدرية أي فما أغنى عنهم كسبهم ، سواء أكانت (ما) الأولى استفهامية أم نافية " [1] .

مما سبق يتضح أن ظاهرة الاتساع – و خاصة التوسع – في المعنى لم تقتصر على كلام العرب، بل نراها بارزة بروزا واضحا في القرآن الكريم فقد تأتي الآية الواحدة محتملة أكثر من معنى ، و أكثر من وجه إعرابي مما يؤدي إلى كثرة التفاسير ، غير أن هذه المعاني كلها مرادة ومقصودة .

ثالثا : التضمين في النحو :

و هو إشراب لفظ معنى لفظ أخر فيعطونه حكمه ، و فائدته أن تؤدي كلمة مؤدى كلمتين [2] ، يقول الزمخشري في قوله تعالى :" و لا تعد عيناك عنهم " سورة الكهف الآية 28 ، يقال : « عداه إذا جاوزه ، و منه قولهم : (عدا طوره) ... و إنما عدي بـ(عن) لتضمين (عدا) بمعنى (لبا) و (علا) في قولك (بنت عنه عينك) ، و (علت عنه عينه) اذا اقتحمته و لم تعلق به .

(1)-الكشاف ، ج3، ص439.

(2)-مغني اللبيب عن كتب الاعاريب ، ابن هشام الأنصاري ، تح د.مازن المبارك و محمد علي حمدالله ، مؤسسة الصادق للنشر و الطباعة ، ط5، د ت،ص797.

فإن قلت أي غرض في هذا التضمين ؟ و هلا قيل :و لا تعدهم عيناك أو لا تعد عيناك عنهم ؟ قلت : الغرض فيه إعطاء مجموع معنيين وذلك أقوى من إعطاء معنا فذ ، ألا ترى كيف رجع المعنى إلى قولك :" و لا تأكلوا أموالهم إلى أموالكم"سورة النساء الآية 02،أي و لا تضموها إليها أكلين لها »[1] .

و متا نخلص إليه هو أن فائدة التضمين هو التوسع في المعنى " و ذلك أن يؤتى بفعل ثم يؤتى معه بحرف لا يتعدى معه ذلك الفعل و إنما يتعدى مع فعل أخر ، فيكسب معنى الفعل المذكور و المقدر " [2] .

بعد هذه المقدمة التي حاةلنا فيها إبراز معنى التضمين و ذكر فائدته نعود إلى الآيات القرآنية لنرى كيف يوسع التضمين المعنى ، و يهمنا أن نقف على ما وقف عليه الزمخشري في كشافه .

و من ذلك قوله تعالى :" للذين يؤلون من نسائهم تربص أربعة أشهر "[3] ، فمعنى (يؤلون) يقسمون أو يحلفون و الأصل أن نقول حلف فلان على كذا ، و لكنه عدل عن لفظة (على) إلى لفظة من (لأنه ضمن معنى البعد ،. فكأنه قيل : يبعدون من نسائهم مؤلين أو مقسمين [4] ، فجمع بين معنيي الحلف و البعد ، و من ذلك قوله تعالى :" و لا تأكلوا أموالهم إلى أموالكم " سورة النساء الآية 02 فضمن (تأكل) معنى تضم و كذلك عدي ب(إلى) أي " و لا تضموها إليها في الإنفاق حتى لا تفرقوا بين أموالكم و أموالهم فله مبالاة مما لا يحل لكم "[5] ، فجمع بين معنيي الأكل و الضم.

---

(1)-الكشاف ، ج2، ص481

(2)-الجملة العربية و المعنى ، فاضل السامرائي ، دار بن حزم ، بيروت ، ط1، 2000، ص185.

(3)-سورة البقرة الآية 226.

(4)-الكشاف ، الزمخشري ، ص227.

(5)-المصدر نفسه ،ص 495.

و منه قوله تعالى :" فليحذر الذين يخالفون عن أمره " {سورة النور الآية 23 }فالفعل (خالف) يتعدى بنفسه فنقول (خالف أمره) قال تعالى :" و ما أريد أن أخالفكم إلى ما أنهاكم عنه " {سورة هود الآية 88} و لكنه عدي هنا بـ(عن) لتضمينه معنى يصدون عن أمره أو يعرضون عنه أو يعدلون عنه [1] ، منه قوله تعالى : " سأل سائل بعذاب واقع " سورة المعرج الآية الأولى فعدي الفعل (سأل) بالباء لتضمينه معنى (دعا) فعدي تعديته كأنه قيل دعا داع بعذاب واقع ، من قولك : دعا بكذا ، و منه قوله :" يدعون فيها بكل فاكهة أمنين " {سورة الدخان الآية 55}[2].

و يتضح هذا المعنى من سبب نزول الآية ، فقد روي أن النظر بن الحارث قال " اللهم إن كان هذا هو الحق من عندك فأمطر علينا حجارة من السماء أو أتنا بعذاب أليم" سورن الأنفال الآية 52 ، فأنزل الله تعالى :" سَأَلَ سَائِلٌ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ " [3] ، أي دعا بالعذاب لنفسه و طلبه لها .

و من هنا يبرز دور التضمين في توسيعه للمعنى من خلال تحقيقه مجموع معنيين في وقت واحد بحيث يكون كلاهما مقصودان .

رابعا : الحذف الذي يؤدي إلى إطلاق الدلالة و توسعها :

ينقسم الحذف قسمين : قسم لا يؤدي إلى التوسع في الدلالة و هو ما يتعين فيه المحذوف نحو قوله تعالى " مَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ أَسَاءَ فَعَلَيْهَا"{ سورة فصلت الآية 46}، نحو قوله تعالى :" وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ فَأَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ" {سورة الزخرف الآية 87}، أي الله خلقنا ، و قسم يؤدي إلى توسع فيها و ذلك إذا لم يتعين فيه

---

(1)-الكشاف ، ج2 ص 79.

(2)-المصدر نفسه ،ص 1560.

(3)-صور من اتساع دلالة الألفاظ و التراكيب ، السامرائي ، ص30.

المحذوف بل يحتمل عدة تقديرات يحتملها سياق الأية ، و ما يهمنا هنا هو القسم الثاني[1] ،و من ذلك قوله تعالى :"وَيَسْتَفْتُونَكَ فِي النِّسَاءِ قُلِ اللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِيهِنَّ وَمَا يُتْلَى عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ فِي يَتَامَى النِّسَاءِ اللَّاتِي لَا تُؤْتُونَهُنَّ مَا كُتِبَ لَهُنَّ وَتَرْغَبُونَ أَن تَنكِحُوهُنَّ" {سورة النساء الآية 127} فقوله تعالى :" وَتَرْغَبُونَ أَن تَنكِحُوهُنَّ"يحتمل أن تنكحوهن لجمالهن ، و عن تنكحوهن لدمامتهن " [2] .

و لو ذكر الحرف المحذوف فقال :" في أن تنكحوهن " لكان المعنى الرغبة في نكاحهن و لو ذكره فقال (عن أن تنكحوهن) لاقتصر المعنى على الرغبة عن نكاحهم و العزوف عنه و لكن عندما حذف حرف الجر و لم يعين توسع المعنى ليحتمل الرغبة في نكاحهن ويحتمل الرغبة عنه [3] .

و مما ذكره الزمخشري أيضا قوله تعالى " فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ" {سورة الحجر الآية 94 }، فذكر أنه يحتمل أن يراد بهذا التعبير فأصدع بما تؤمر به من الشرائع أو فأصدع بأمرك [4] ،فإذا كانت (ما) اسما موصولا كان المعنى فأصدع بما تؤمر به من الشرائع و الأحكام ، و إذا كانت (ما) مصدرية كان المعنى : فأصدع بأمرك و المعنيان مرادان .

و لو ذكر العائد فقال (بما تؤمر به) لكانت (ما) اسما موصولا فحسب ، فبحذف العائد توسع المعنى ليحتمل الموصولية و المصدرية .

---

(1)-صور من اتساع دلالة الألفاظ و التراكيب ، السامرائي ، ص31.

(2)-ينظر الكشاف ، ج1، ص567.

(3)-صور من اتساع دلالة الألفاظ و التراكيب ، السامرائي ، ص31.

(4)-المرجع نفسه ص32.

و منه قوله تعالى " وَنَادَىٰ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ أَصْحَابَ النَّارِ أَن قَدْ وَجَدْنَا مَا وَعَدَنَا رَبُّنَا حَقًّا فَهَلْ وَجَدتُّم مَّا وَعَدَ رَبُّكُمْ حَقًّا ۖ " سورة الأعراف الآية 44 ، فقد قال : " مَا وَعَدَنَا رَبُّنَا " بذكر مفعول الفعل و قال بعدها " مَّا وَعَدَ رَبُّكُمْ حَقًّا ۖ" و لم يقل (ما وعدكم) فلم يذكر المفعول[1] بذكر الزمخشري أن سبب ذلك هو أن الكافرين كانوا منكرين لأصل الوعد و الوعيد و ليسوا منكرين لما وعدهم به فقط فكأنه قال : هل وجدتم وعد ربكم حقا ؟ جاء في (الكشاف) :" **فإن قلت : هلا قيل : ما وعدك ربكم كما قيل ما وعدنا ربنا ؟ . قلت : حذف ذلك تخفيف للدلالة (وعدنا) عليه و لقائل أن يقول : أطلق ليتناول كل ما وعد الله من البعث و الحساب والثواب و العقاب و سائر أحوال القيامة لأنهم كانوا مكذبين بذلك أجمع و لأن الموعود كله مما ساءهم ، و ما نعيم أهل الجنة إلا عذاب لهم فأطلق لذلك**" [2] .

و من الأمثلة الأخرى التي يؤدي الحذف فيها إلى التوسع في المعنى ما ورد ذكره من حذف المصدر و إبقاء صفته نحو قوله تعالى :"وَبِصَدِّهِمْ عَن سَبِيلِ اللَّهِ كَثِيرًا " سورة النساء الآية 160 ، و قوله **فَلْيَضْحَكُوا قَلِيلًا وَلْيَبْكُوا كَثِيرًا**" سورة التوبة الآية 82.

خامسا : احتمال الخبر و الإنشاء في التعبير الواحد :

قد يحتمل التعبير الواحد أن يكون خبيرا و إنشائيا مثل قوله تعالى**وَيْلٌ لِّكُلِّ هُمَزَةٍ لُّمَزَةٍ** " {سورة الهمزة الآية 01} فقد ذكرنا أن هذا التعبير يحتمل أن يكون خبيرا و دعائيا فقد يحتمل أنه أخبر بما سيلاقونه من عقوبة في الآخرة بسبب همزهم و لمزهم ، و يحتمل أن يراد الدعاء عليهم بالويل و الهلاك و المعنيان مرادان ، فقد دعا عليهم بالعذاب الشديد فقد

(1)-المرجع السابق، ص32.

(2)- نفسه ص32.

أخبر بما سيصيبهم ما دعا عليهم به[1]،و مما ورد ذكره في الكشاف قوله تعالى :" وَالْمُطَلَّقَاتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ ثَلَاثَةَ قُرُوءٍ" سورة البقرة الآية 228، "فهذا التعبير خبر في معنى أمر وأصل الكلام و ليتربص المطلقات، و إخراج الأمر في صورة الخبر تأكيد للأمر و إشعار بأنه مما يجب أن يتلقى بالمسارعة إلى امتثاله ، و كأنهن امتثلن الأمر للتربص "[2]، و نحو قوله تعالى :" وَالْوَالِدَاتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَادَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ " {سورة البقرة 233}، فهو أيضا خبر في معنى الأمر المؤكد [3]،" و قد أخرج الأمر مخرج الخبر للدلالة على أنهن يفعلن ذلك امتثالا لأمر الله ، وهذا شأنهن و هو أبلغ من تصريح الأمر ، و نظير هذا قولنا (تذهب إلى فلان وتخبره كذا و كذا) على معنى اذهب إليه و هو الظن من الأمر الصريح إذ لا يراد أحيانا أن نواجه بالأمر بل يخرج مخرج الخبر تلطفا بالسامع أو إكراما له " [4]،"جاء في شرح (شذور الذهب) في الآيتين المذكورتين أنفا :و" هذان الفعلان خبريان لفظا طلبيان معنًا و مثلهما (يرحمك الله) و فائدة العدول بهما عن صيغة و الأمر التوكيد و الإشعار بأنهما جديران بأن يلتقيا بالمسارعة ، فكأنهن امتثلن ، فهما مخبر عنهما بموجودين"[5]،و قفد يكون الخبر في معنى النهي كقوله تعالىوَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ" سورة البقرة الآية 83، جاء في الكشاف " لا تعبدون " إخبار في معنى النهي كما تقول : تذهب إلى فلان كذا ، تريد الأمر ، و هو أبلغ من صريح الأمر و النهي ، كأنه سورع إلى الامتثال و الانتهاء فهو يخبر عنه و تنصره قراءة عبد الله و أبّي (لا تعبدوا) [6] .

---

(1)-صور من الاتساع دلالة الألفاظ و التراكيب ، ص40.

(2)-ينظر الكشاف ، ج1، ص365.

(3)-المرجع نفسه ، ص369.

(4)- صور من اتساع دلالات الألفاظ و التراكيب ، ص40.

(5)- شرح شذور الذهب في معرفة كلام العرب ، ابن هشام الانصاري ، شرح و تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد ، المكتبة التجارية الكبرى بالقاهرة ، ط11، 1968 ، ص69.

(6)-ينظر الكشاف ، ج1، ص293.

الخاتمة

و بعد هذه السياحة الممتعة في رياض مونقة الافانين اطلعنا الى ما يمت الى لغتنا الشريفة بأمتن الاسباب ، فما بلغت لغة من اللغات ما بلغته العربية فكل ما سواها عاجز عنها قاصر عن القيام بما تقوم به من دلالات و ما تأديه من معان فهي أوسع اللغات و المفردات فيما تحمل تلك الألفاظ من دلالات و ما هذا إلا لـ دقة هذه اللغة العظيمة في التعبير عن المعاني وسعة مساحتها التعبيرية و قدرتها الهائلة على توليد المعاني و على التوسع في المعنى و تفوقها الفني حتى تصل الى درجة الاعجاز .

ولما انهيت دراسة ظاهرة الاتساع التي بذلت فيها غاية جهدي خلصت الى مجموعة من النقاط أهمها :

- وجدت التوسع أو الاتساع مثار خلاف بين اللغويين و البلاغيين فكل منهما يدعيه لنفسه و كأنه نتاج فكره و ابداعه
- تردد مصطلح التوسع في مواضع متعددة من كتبهم و لكنه لم يكن واضح المعالم و الحدود و انما بقي عائما مبثوثا في بطون الكتب و قد ارجعنا ذلك لأمرين :

أولهما : عدم الاستقرار هذا المصطلح عندهم من جهة .

و الثاني : لقلة من عقد له بابا من النحات من جهة أخرى

- كما تبين أن ظاهرة الاتساع ولدت في أحضان الدراسات اللغوية و النحوية غير أنه ترعرع و ناما على يد البلاغيين الذين كانوا اكثر دقة في معالجة هذه الظاهرة من النحويين و لعل السبب في ذلك ان الاتساع مرتبط بالمجاز اكر منه من الحقيقة .
- تنوع صور و مواطن التوسع من المستوى الشكلي الناتج عن الاشتقاق و المشترك اللفظي و الترادف الى مستوى تركيبي تمثل في النظم و فروعه .

- عالج سبويه ظاهرة الاتساع ضمن مسائل كثيرة متفرقة من كتابه حتى و إن لم يشر اليه صراحة فقد تعددت صوره من اتساعا يقوم عن الحذف في معظمه الى اتساعا يقوم على الإيجاز و الاختصار
- اما ابن سراج فقد جعل الاتساع ضرب من الحذف اذ تعد دراسته من أقدم محاولات النحويين و أقربها من الدقة
- و فيما يخص المستوى البلاغي هو الأخر شهد تعددا لصور الاتساع منها:
- ربط الجرجاني الاتساع بما يعرف بالمعنى و معنى المعنى ، و بالمجاز و الكناية
- أما الزمخشري هو الأخر عالج هذه الظاهرة من خلال الحذف و التضمين و العدول من تركيب لآخر .
- و بهذا فالتوسع ليس كما يتبادر إلى الذهن لأول وهلة من أنه عدم وضوح في المعنى أو غموض في الدلالة ، على العكس من هذا ؛لأن العبارة كل ما كانت أغزر معنى وأعمق دلالة كانت مكمن إيحاء ومبعث جمال ، ولاسيما إذا كانت هذه السعة في المعاني راجعة إلى صورة كلية مؤكدة لها من جوانب شتى يعضد بعضها بعضا لرسم مشهد تصويري متكامل في أداء فني رائع.

المصادر والمراجع

قائمة المصادر و المراجع

❖ **القرآن الكريم**

المصادر

1. الأشباه والنظائر في النحو ‘ جلال الدين السيوطي ‘تح : محمد عبد القادر الفاضلي ‘ط1‘بيروت ‘ المكتبة العصرية ‘1999,ج1‘22ص ‘23ص
2. الأصول في النحو ، لأبي بكر ابن السراج ، تح : عبد الحسين الفتلي ، ط1، 1415هـ/1985م ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ج1.
3. الأصول في النحو ‘ لأبي بكر بن السراج النحوي ‘تح ‘عبد الحسين الفذلي ‘ط و ‘بيروت‘ مؤسسة الرسالة 1996 ‘ج2 .
4. تأويل مشكل القرآن لأبن قتيبة ، شرح و نشر السيد أحمد صقر ، ط2، مطبعة الحضارة العربية، دار التراث ، القاهرة ، 1973.
5. تحرير التحرير في صناعة الشعر والنثر و بيان إعجاز القران ، ابن ابي الأصبع المصري ، تح : عفني محمد شرف ، ط، القاهرة ، لجنة الإحياء التراث الإسلامي ، 1963.
6. دلائل الإعجاز ، عبا القاهر الجرجاني، تصحيح محمد رضا رشا ، دار المعرفة ، بيروت ، 1987.
7. دلائل الإعجاز ، عبد القاهر الجرجاني ، تح :أبو النهر محمود محمد شاكر ،ط5 ،القاهرة مكتبة الفانجي ،2004.
8. فقه اللغة و اسرار العربية ، اسماعيل الثعالبي ، تعليق ياسين يعقوبي ، المكتبة العصرية ، بيروت ، ط2، 2000 .
9. الكتاب ، سيبويه ، ج1، تح و شرح عبد السلام هارون ، بيروت ، عالم الكتب ، ط3، 1983.
10. الكتاب ،سيبوية ،تح :عبد السلام هارون ، ط1 ،دار القلم ،القاهرة ،1966، رح.

11. كتاب الأضداد ، لابي علي محمد بن المستنصر (قطرب) ، تح ، حنا حداد ، ط1، الرياض السعودية ، دار العلوم 1984.
12. كتاب الأضداد محمد القاسم الانباري ، ، تح محمد أبو الفضل إبراهيم ، دط، بيروت ، المكتبة العصرية ، 1987 ، ص08.
13. الطراز ، يحي بن حمزة بن علي العلوي ، تح ، عبد الحميد هنداوي ، ط01، بيروت ، المكتبة العصرية ،2002 .
14. الكشاف عن حقائق التنزيل و عيون الأقاويل لوجوه الويل ،أبوالقاسم محمود بن عمر الزمخشري ، دار الفكر ، بيروت ، ط1، 1977 .
15. معاني القرآن ، الفراء تح عبد الفتاح شلبي ، مطبعة دار الكتب المصرية للتأليف و الترجمة،1955 ، ج1.
16. مغني اللبيب عن كتب الاعاريب ، ابن هشام الأنصاري ، تح د.مازن المبارك و محمد علي حمدالله ، مؤسسة الصادق للنشر و الطباعة ، ط5، د ت.

المراجع

1. الاتساع اللغوي بين القديم و الحديث ، عطية نايف الغول ، دط، عمان ، الأردن ، دار اليروني ، 2008.
2. أثر الاعتزال في توجيهات الزمخشري اللغوية و النحوية في الكشاف ، مهند حسن محمد الجبالي ، جامعة اليرموك ،/ بغداد ، 1996 .
3. أسرار اللغة ، إبراهيم أنيس ، ط5 ، مكتبة الانجلو المصرية ، القاهرة ،1984 .
4. تداوليات علم استعمال اللغة ، حافظ إسماعيل علوي أخرون ،ط1، عالم الكتب الحديث ، عمان ، 2011.
5. التراكيب النحوية من الوجهة البلاغية عند عبد القاهر، عبد الفتاح لاشين، دار المرية، الرياض، المملكة العربية السعودية، د-ت.
6. تفسير الكشاف للزمخشري ، دلدار غفور حمد أمين ، ط1/، دار دجلة ، المملكة الأردنية ، 2010 .

7. التوسع في كتاب سيبويه ،عادل هادي حمادي العبيد ، مكتبة الثقافة الدينية ، القاهرة ، دط، 2004.
8. الجملة العربية و المعنى لفاضل صالح السامرائي ، دار ابن حزم ، بيروت ، ط1، 2000.
9. دراسات في فقه اللغة ، صبحي صالح ، ط2، نشر أدب الحوزة ، دار العلم للملايين مطبعة العلوم ، حازة حريك ، لبنان .
10. الصاحبي في فقه اللغة العربية و مسائلها و سنن العرب في كلامها ، أبو الحسن أحمد بن فارس ، تح : أحمد حسن بسيج ، ط1، الكتب العلمية ، بيروت ، 1997.
11. علم اللغة مقدمة للقارئ العربي ،محمود سعران ، د ط ،لبنان ،دار النهضة العربية ،د ت .
12. القياس في اللغة العربية ، حسن عبد العزيز ، دار الفكر العربي ، القاهرة ، ط1، 1995.
13. كيف تكون فصيحا ؟ السايح عبد الحميد ، تح: ياسر ابراهيمي ، دار الإيمان ، ط1 ، 1999 .
14. نظرية النظم عند عبد القاهر الجرجاني، مقدمتها – أركانها – قيمتها، خالد بن الربيع الشافعي، كلية المعلمين في جازان، د.ط.د.ت.

المعاجم

1. تاج العروس من جواهر القاموس ،محمد مرتضى الزبيدي ،تع :مصطفى حجازي ،سلسلة التراث العربي (16)،د ط ،مطبعة حكومة الكويت ،1985م .
2. تعذيب اللغة :لأبي منصور أحمد الأزهري ، إشراف: محمد عوض ،ط1 ، بيروت لبنان ،دار إحياء التراث 1421هـ،2001 م مجلد02 ،3،ص61
3. الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية ، حماد الجوهري ،تع:عبد الغفور عطار ،ط4،بيروت ،لبنان ،دار العلم للملايين ،1990.

الرسائل و المذكرات

1. الاتساع في العربية ، عواطف ياسين علي (ماجستير ، كلية الآداب جامعة البصرة ،دط، 1413، 1992.
2. الاتساع في المعنى في تفسير أبو السعود ، نسرين خلود ، د ط ، جامعة الإسلامية ، بغداد ، 2010.
3. الاتساع و أثره في المعجم العربي – لسان العرب أنموذجا ، علاء حمادي تكي ، جامعة العرق ، د.ط، 2013 ، ج1.
4. الاتساع وأثره في المعجم العربي ،لسان العرب أنموذجا ،علاء حمادي ،د ط ،جامعة كربلاء ،2012 ،ج2.
5. التفسح في منثور اللغة و منظومها ، لأبي الحسين عبد الله بن محمد النحوي ، رسالة ماجستير ، تح عبد الجبار ، عبد الأمير هاني ، جامعة البصرة ، كلية التربية ، 1998 .
6. التوسع في كتاب الأصول في النحو الأدبي بكر السراج ، صادق فوزي ، كلية الآداب ، الجامعة المنتصرة ، بغداد ، 2004.
7. قضايا تداولية في كتاب دلائل الاعجاز لعبد القاهر الجرجاني ، تاقبايث حامدة ، د.ن، جامعة مولودة معمري ، تيزي وزو ، 2012.

المجلات

1. الاتساع عند ابن شجري، سعد الدين إبراهيم مصطفى، مجلة التراث العربي تصدر عن اتحاد الكتاب العرب بدمشق، العددان: 130،131 ،2013 ص300
2. دلالة الألفاظ عند ابن جني من خلال كتاب الخصائص ، طارق بومود ، مجلة المسارات اللغوية ، العدد 09، 2012 مخبر الممارسات اللغوية ، جامعة مولود معمري ، تيزي وزو .

3. رفع الحرج من جلل توسع العرب، عبد الرحمن إسماعيل ، محاضرات الموسم الثقافي ، لكلية اللغة العربية ، موقع شيخة المري ، العدد 1، 1402-1403 هـ .

دواوين شعرية

1. ديوان امرؤ القيس، اعتنى به وشرحه : عبد الرحمن المصطاوي ، ط2، بيروت ، لبنان ،2004 .

الفهـــــــرس

الفهـــــــرس

بسملـــــــة

أبيات شعريـة

شكر وعرفـان

الإهـــــــداء

مقدمـــــــة .....أ-ج

مدخـــــــل **2-15**

الفصل الأول : ماهيـــــــة الاتســـــــاع و أنماطــه **17-50**

المبحث الأول: مفهـــــــوم الاتســـــــاع **17**

المبحث الثاني: أنمـــــــاط الاتســـــــاع **28**

الفصل الثاني : ظاهرة الاتساع في الدرس النحوي العربي القديم **51-78**

المبحث الأول : الاتساع عند سيبويـــــه (فـي كتـــاب الكتـاب)..... ..... **52**

المبحث الثاني : الاتساع عند ابن السراج (في كتاب الأصول في النحو)..... **71**

الفصل الثالث : ظاهرة الاتساع في الدرس البلاغي العربي القديم **80-102**

المبحث الأول : الاتساع عند عبد القاهر الجرجاني (في كتاب دلائل الإعجاز)..... **81**

المبحث الثاني : الاتساع عنـد جار الله الزمخشـري(في كتـاب تفسير الكشاف)..... **90**

خاتمـــــــــــة **104-105**

المصادر و المراجع **107-111**

الفهـــــــــــرس **113**